روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

ساعة الصفر

126

د. نبيل فاروق

Looloo



رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - مصرع بطل..

انهمرت الأمطار فى غزارة تفوق الوصف، بالنسبة لتلك الفترة من العام، على العاصمة الفنزويلية (كراكس)، وغمرت المياه مهبط المطار على نحو غير طبيعى، حتى إن مدير برج المراقبة بدا شديد التوتر، وهو يقول لرجاله:

- لن تتمكّن طائرة واحدة من الهبوط، فى هذا الطقس الردىء.. لابد أن نبلغ كل الطائرات، حتى تتحوّل إلى مطار (جورج تاون) فى (جيانا) الفرنسية.

غمغم أحد رجاله:

- أنت تعلم طبيعة المسئولين فى (جورج تاون).. إنهم لن يسمحوا لراكب واحد بالهبوط هناك، دون تأشيرة دخول.

لوّح مدير البرج بذراعه فى حدة، هاتفًا:

- ومن يرغب فى دخول (جورج تاون)؟! كل ما نطلبه هو أن تستقر الطائرات فى مطارهم لبعض

الوقت ، حتى تتحسَّن الأحوال الجوية هنا ، وتتزوَّد بالوقود للعودة إلينا ، دون أن تفتح أبوابها على الإطلاق ، ولو لحظة واحدة .

أشار الرجل إلى اللاسلكى ، قائلاً فى تردُّد :

ـ هل أبلغهم هذا حقًا ؟!

هتف به مدير البرج :

ـ كل حرف منه يا رجل .. وعلى الفور .

انهمك رجال البرج فى نقل الرسالة إلى كل الطائرات ، المتجهة إلى (كراكس) ، وإبلاغ مطار (جورج تاون) بالأمر ، فى حين راح المدير يراجع خطوط الطيران ، مغمغمًا لنفسه :

ـ ستكون ليلة ليلاء .. يمكننى التنبؤ بهذا من الآن .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت ، عبر جهاز اللاسلكى ، يقول :

ـ من الطائرة الخاصة (يو ـ ٧٠٦) إلى مطار (كراكس) .. لقد عبرنا مجالكم الجوى على الفور ، ونطلب الإذن بالهبوط .

اعتدل مدير البرج ، وهو يهتف مستنكرًا :

ـ هبوط ؟!

كان أحد رجاله يلتقط بوق اللاسلكى للرد ، ولكنه اختطفه من يده ، قائلاً فى صرامة عصبية :

ـ من مطار (كراكس) إلى (يو ـ ٧٠٦) .. الأحوال الجوية لدينا لا تسمح بالهبوط ، ولقد أعلنا هذا منذ قليل ، حاول أن ..

قاطعه قائد الطائرة الخاصة :

ـ لقد التقطنا إعلانكم هذا ، ولكن ليس بوسعنا سوى تجاهله ، مع عظيم إحترامنا لكم ؛ لأن خزان الوقود لدينا يقترب من الصفر ، ولن يمكننا بلوغ (جورج تاون) .

تضاعفت عصبية مدير البرج ، وهو يقول :

ـ يبدو أنكم لا تستوعبون الموقف جيدًا .. الأحوال هنا سيئة للغاية ، والهبوط سيبدو أشبه بمحاولة انتحار .

أجابه قائد الطائرة فى حزم :

ـ وماذا عن السقوط وسط الأدغال ؟!

انعقد حاجبا مدير البرج ، ومطّ شفتيه فى حنق ، وهو يقول فى خشونة :

ـ لا يمكننى السماح لكم بالهبوط .. لن أرتكب هذا

الخطأ القانونى أبدًا .. يمكنكم الهبوط على مسئوليتكم الخاصة .

ثم أضاف فى عصبية :

- لا أحد يمكنه منعكم من الانتحار .

أجابه قائد الطائرة فى حزم أكثر :

- فليكن .. نحن فى طريقنا إليكم ..

ثم أنهى الاتصال ، فغمغم مدير البرج فى حنق :

- أو إلى الجحيم .

واقترب من النافذة ، محاولاً اختراق الظلام والمطر المنهمر ، وهو يعقد حاجبيه أكثر ، ويمطّ شفتيه على نحو عجيب ، مضيفًا :

- إنهم مجانين .

لم يدر ، وهو ينطق عبارته ، أن ما يحدث الآن ، هو جزء من سلسلة عنيفة من الجنون ، بدأت أولى حلقاتها منذ سويعات قليلة ..

فى قلب (إسرائيل) ..

أو بمعنى أدق ، بدأت سرًّا منذ عدة أشهر ..

ثم انكشف أمرها ، منذ عدة ساعات ..

وياله من كشف !!

لقد أصرَّ (أدهم) على البقاء فى قلب (إسرائيل) ، بعد أن أنقذ (قدرى) من أسره ، وأعاده إلى (القاهرة) ..(*)

بقى ليبحث عن أقرب إنسان إليه فى الوجود .. ابنه ..

ذلك الابن الوحيد ، الذى أنجبه من ألد أعدائه (سونيا جراهام)(**) ، والذى قرَّرت تلك الأخيرة أن تنتقم به منه ، فأرسلته باسم مستعار ، ليتعلَّم وينشأ فى (إسرائيل)(***) ..

فى قلب أرض العدو ..

وبعد بحث مضنٍ ، توصَّل (أدهم) إلى أن ابنه هو أحد طلبة كلية (بنْ جوريون) للناشئين ..

وعندما ذهب للبحث عنه هناك ، ارتطم بواحد من أخطر ضباط (الموساد) ..

(ديلشمسكى) ..

(يارون ديلشمسكى) ..

(*) راجع قصة (اللمسة الأخيرة) .. المغامرة رقم (١٢٤)

(**) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم (٨٤)

(***) راجع قصة (فوق القمة) .. المغامرة رقم (١١٩)

وبمصـــادفة بحتـة ، ومـن خـلال حـديث مـع (ديلشمسكى) ، الذى تصوَّر أن (أدهم) أحد زملائه فى (الموساد) ، علم هذا الأخير بـأخطر مؤامـرة يعدُّها لنا الإسرائيليون ..

مؤامرة لنسف قمرنا الصناعى الأوَّل (نايل سات) ، فى مساره فى الفضاء ..

مؤامرة تكلفت عشـرة ملايين دولار ، فـى محاولـة لإحبـاط خطـة التقـدُّم والتنميـة ، التى تسعى إليهـا (مصـر) ، بكـل كيانهـا وأحلامهـا وطموحاتهـا وإمكانياتها ..

ولتدميـر حلمنـا باللحـاق بركـب القـرن الحـادى والعشرين ..

وكان على (أدهم) أن يتحرَّك بأقصى سرعته .

بل كان على (مصر) كلها أن تنطلق لإنقاذ قمرهـا الصناعى ..

لإنقاذ حلمها ..

وطموحاتها ..

ومستقبلها ..

ومن أجل هذا ، راح الجميع يتحركون فى آن واحد ..

مدير المخابرات العامـة جمع فريقًا من العلمـاء ، لتحديد موقع قاعدة الصواريخ السرية ، التى يمكن أن يستخدمها الإسرائيليون لتنفيذ مؤامرتهم ..

وفى الوقت نفسه ، وبعد أن انكشفت خدعته ، راح (أدهم) يقاتل بكل قوته ؛ للخروج من (إسرائيل) ، والوصول إلى (أمريكا الجنوبية) ، ليبدأ صراعه مـع (الموساد) ؛ لإنقاذ القمر المصرى الأوَّل ..

ووسط كل هذه الأحداث ، ظهرت امرأة غامضة ..

امرأة اختطفت (جيهـان) ، فـور وصـولها إلـى (نيويورك) ، وقامت بخدعة متقنة ؛ لتضمن سيطرتها التامـة علـى قـاعدة الإطـلاق ، ثم نجحت أخـيرًا فـى ضمـان ولاء (ميـرفى) ، ملك الجريمـة فى عـالم (نيويورك) السفلى ..

وفى هذا الخضم ، طار (أدهم) إلى (قبرص) ..

وكانت هناك مواجهةٌ جديدة ..

خطيرة ..

وعنيفة ..

وفى الوقت ، الذى توصَّل فيه علماء (مصر) إلى تحـديد موقـع وزمـان المؤامـرة ، والـذى انطلق فيـه

(بارون ديلشمسكى) ، لإعداد مراحلها الأخيرة وتنفيذها ، كان (أدهم) يواجه فريقًا من قتلة (الموساد) المحترفين ، فى مطار (لارناكا) فى (قبرص) ..

وكانت الرصاصات تنهال كالمطر ..

أو كالسيل ..

رصاصات أصابت (أدهم) فى مواضع شتى ..

وكادت تفتك به ..

لولا وصول (نادية) ، زميلته الجديدة ، فى اللحظة المناسبة تمامًا ..

وفى براعة منقطعة النظير ، نجح (أدهم) وزميلته فى الفرار من مطار (لارناكا) ، بطائرة خاصة مصرية ..

وانطلقا يشقان طريقهما نحو الهدف ..

وفى (نيويورك) ، كان رجل المخابرات المصرى (نادر) يبذل قصارى جهده ، للعثور على (جيهان) ، حتى أمكنه التوصل إلى (ماكارثى) ، الذراع اليمنى للسيدة الغامضة ..

وكانت بينهما مواجهة عنيفة ..

أما فى تلك الطائرة الخاصة ، فقد فقد (أدهم) الكثير من الدماء ، مع فرط إصاباته ، و..

وانتشرت الأخبار بسرعة مذهلة ، حاملة النبأ الرهيب ..

لقد مات البطل متأثرًا بجراحه ..

مات (أدهم صبرى)(*)

★ ★ ★

« ها هى ذى .. »

هتف أحد رجال برج المراقبة بالكلمة فى انفعال ، عندما لاحت تلك الطائرة الصغيرة فجأة ، وسط الأمطار العاصفة ، فى سماء مطار (كراكس) ..

كانت طائرة ذات محركين ، من أصغر طراز يمكنه عبور المحيط ، تتسع لأربعة ركاب ، بخلاف قائدها ومساعده ..

ولقد برزت فجأة ، وسط الظلام والأمطار ، وهى تتجه بميل ثابت نحو المهبط ، وقد ارتفعت مقدمتها ، على نحو يوحى بأنها تستعد للهبوط ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (عملية النيل) .. المغامرة رقم (١٢٥)

ومن جهاز الاتصال اللاسلكى فى البرج ، انبعث صوت حازم ، يقول :

- من الطائرة (يو - ٧٠٦) إلى برج المراقبة .. إننا نستعد للهبوط .

اختطف مدير البرج بوق جهاز الاتصال ، وهو يهتف فى حدة :

- من برج المراقبة إلى (يو - ٧٠٦) .. نكرر .. لم نمنحكم الإذن بالهبوط .. أنتم تهبطون على مسئوليتكم الخاصة .. منسوب الهبوط ألف وعشرة ، وزاوية ميلكم ثلاثون درجة ، على المهبط رقم ثلاثة .

أتاه صوت قائد الطائرة ، يقول فى حزم :

- أشكرك .. هذا كل ما نحتاج إليه .

ترك الجميع عملهم فى البرج ، وراحوا يتابعون الطائرة الخاصة الصغيرة ، فى توتر بالغ ..

كان من الواضح أن قائدها شديد البراعة ، إذ ارتفع بمقدمتها أكثر ، وواصل هبوطه بزاوية ثابتة ، كما لو أن تلك العاصفة الهوجاء ، والأمطار الغزيرة ، التى لم تتوقف منذ عدة ساعات ، والمياه التى تغمر المهبط ، كلها عوامل لا تبعث فى نفسه أدنى شعور بالقلق أو الخوف ..

وفى شجاعة مدهشة ، انخفض بطائرته ، إلى الأرض الزلقة ..

ولمسها إطاراه الخلفيان ..

وانزلقا ..

وعلى الرغم من انزلاقهما ، هبط هو بمقدمة الطائرة ، وترك إطارها الأمامى يلمس الأرض الغارقة بدوره ..

وشهق مدير البرج ، وهو يهتف :

- رباه !.. لقد اختلّ توازنه !!

كانت الطائرة قد مالت بالفعل ، على نحو مخيف ، وراحت تنزلق على المهبط فى عنف ، حتى بدا لحظة وكأنها ستنقلب على جانبها ..

ولكن فجأة ، استعادت الطائرة توازنها ، واعتدل جناحاها ، وانطلقت من خلفها مظلة واقية كبيرة ؛ للتخفيف من سرعتها ، وهى تواصل انطلاقها على المهبط ، حتى تجاوزت منطقة الأضواء ، واختفت داخل المنطقة المظلمة ، فى نهاية المطار ..

ولثوان، ظلّ الجميع يحدقون فى تلك البقعة المظلمة ، التى اختفت فيها الطائرة ، وكأنما يتوقعون سماع انفجار هائل ، أو صوت تحطم الجناحين فى عنف ..

ولكن كل شىء ظلّ هادئًا ، ساكنًا ، فانتفض مدير البرج فى عنف ، وقفز يضغط زر جهاز اتصال الأمن الداخلى ، وهو يهتف :

ـ طائرة مجهولة هبطت هنا ، دون إذن بذلك ، انطلقوا لاستقبالها فورًا ، وألقوا القبض على قائدها وركابها .

ولم يكد رجال أمن مطار (كراكس) يتلقون النداء ، حت انطلقوا بثلاث سيارات كبيرة إلى المهبط ، وهتف أحدهم، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى :

ـ ما مواصفات الطائرة بالضبط ؟!

أجابه قائد البرج :

ـ طائرة خاصة (يو ـ ٧٠٦) ، فى المهبط رقم ثلاثة ، فى الجزء الأخير .

قالها ، وهو يتابع السيارات الأمنية الثلاثة ، وهى تنطلق نحو المهبط الثالث ، حتى اختفت بدورها فى البقعة المظلمة منه ، فغمغم :

ـ مضطرون للهبوط ؟! هراء .. أراهن على أنهم بعض تجار المخدرات ، أو ...

قاطعه صوت قائد فريق الأمن ، وهو يهتف عبر اللاسلكى :

ـ متى هبطت تلك الطائرة بالضبط ؟!

انعقد حاجبا الرجل ، وهو يجيب فى عصبية :

ـ منذ دقائق قليلة يا رجل ... ماذا دهاكم ؟! ألم تعثروا عليها ؟!

تردّد قائد فريق الأمن لحظة ، قبل أن يقول فى توتر شديد :

ـ بل عثرنا عليها ، ولكن ..

هتف قائد البرج فى حدة :

ـ ولكن ماذا ؟!

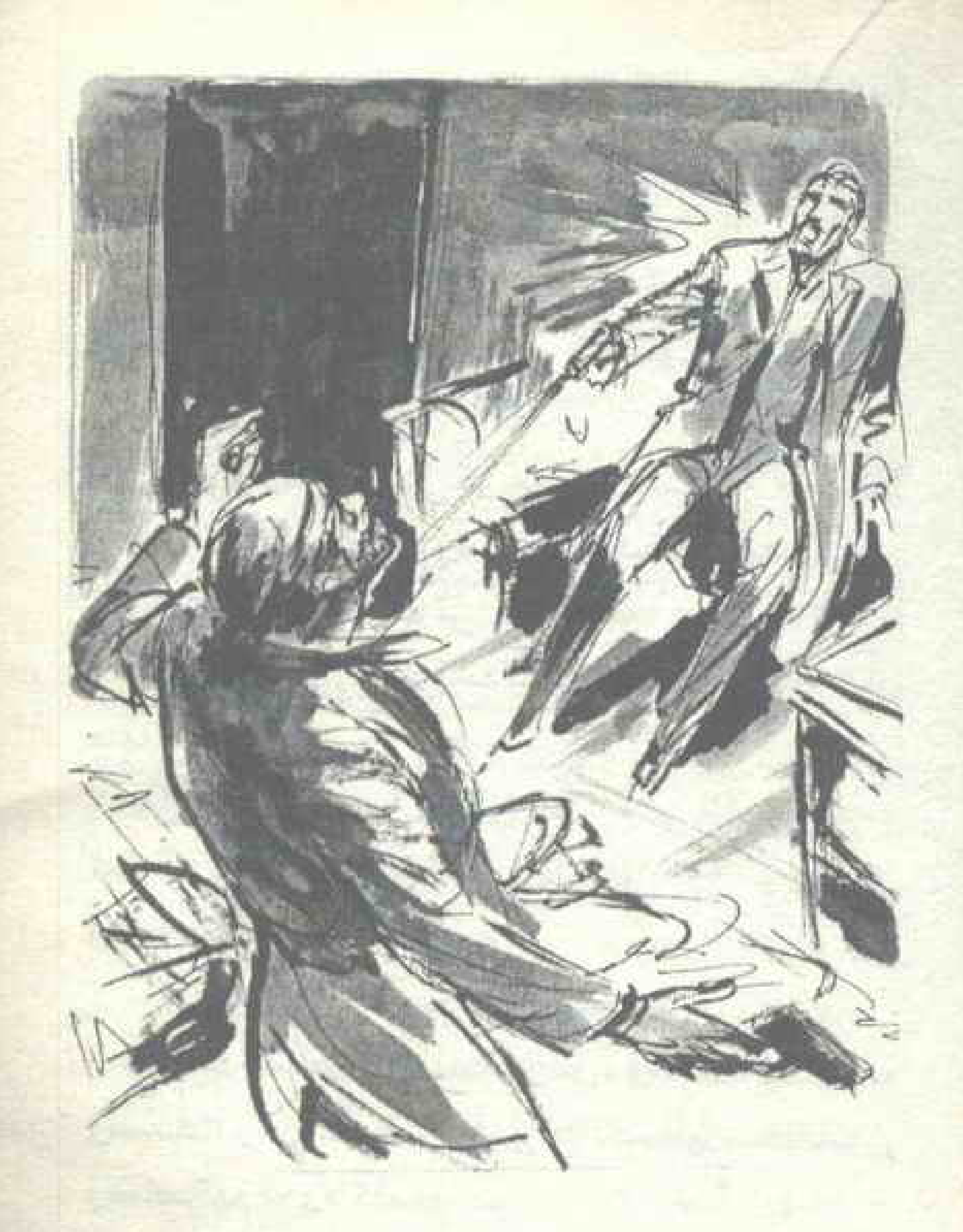
مضت فترة صمت أخرى ، قبل أن يجيب قائد الأمن :

ـ ولكنها خالية .. خالية تمامًا .. ليس بها راكب واحد ، أو حتى قائدها أو مساعده .

اتسعت عينا قائد البرج ، وهو يهتف ذاهلاً :

ـ خالية ؟! مستحيل !

ولكن قائد فريق الأمن كان يصف ما لديه بمنتهى الدقة ..



وتفجرت الدماء فى عنف ، فى الطابق الثانى .. دماء (ماكارثى) ..

لقد كانت الطائرة (يو - ٧٠٦) تستقر بالفعل ، فى نهاية المهبط الثالث ..

وكانت خالية ..

خالية تمامًا !!

★ ★ ★

بمنتهى الخفة والنشاط ، شأن أى رجل مخابرات سابق ، قفز (ماكارثى) ، الذراع اليمنى للغامضة (كلارافلورانس) ، يختطف مسدسه ، ودار حول نفسه ، ليطلق رصاصاته نحو (نادر) ..

ولكن هذا الأخير ، كرجل مخابرات حالى ، أدار فوهة مسدسه بسرعة أكبر ، وأطلق النار بدوره ..

ودوت الرصاصات فى المخزن الكبير ..

وتفجرت الدماء فى عنف ، فى الطابق الثانى ..

دماء (ماكارثى) ..

و (نادر) ..

فرصاصات هذا الأخير اخترقت كلها صدر الأول ورأسه ، فى حين أصابت رصاصات (ماكارثى) ذراع (نادر) وكتفه ، وخدشت ركن جبهته ..

وطار جسد (ماكارثى) مرة أخرى ، ليسقط جثة

هامدة ، فى نفس اللحظة التى ارتدّ فيها جسد (نادر) فى عنف ، ليرتطم بالجدار ، مع قوة الرصاصات ، التى أصابت جسده، فى مواضع شتى ..

ومع دوى إطلاق النيران ، تحركَ الحراس الضخام فى الطابق الأرضى ، واندفعوا بمدافعهم ومسدساتهم الآلية إلى الطابق الثانى ..

وبكل قوته ، وعلى الرغم من إصاباته ، نهض (نادر) فى سرعة ، واستعاد مسدسه ، وهو يلقى نظرة على جثة (ماكارثى) ، مغمغمًا :

ـ يا للوغد ! كان بإمكانه أن يجعل الأمور أكثر سهولة .

بلغ رجال الحراسة الطابق الثانى، فى تلك اللحظة ، فاحتمى بالمكتب الخشبى الكبير ، وهو يطلق رصاصاته نحوهم ، هاتفًا :

ـ بدلاً من هذا الجحيم .

أطاحت رصاصاته بأحد الحراس، وحطمت يد ثان ، ونسفت رأس ثالث ، فراح الباقون يطلقون رصاصاتهم نحوه كالسيل ..

واحتمى (نادر) بالمكتب الخشبى أكثر ، وراحت

أجزاء المكتب تتناثر فى كل مكان ، مع الرصاصات العنيفة ..

وبدا من الواضح أن (نادر) لن يغادر هذه الحجرة ..

على قيد الحياة ..

فمع إحساسهم بالتفوّق والقوة ، راح الحراس يتقدمون أكثر وأكثر، ورصاصاتهم تزداد غزارة وعنفًا ..

وفى حزم ، ومع ثقته باستحالة النجاة ، وضع (نادر) خزانة رصاصات جديدة فى مسدسه ، وهو يغمغم :

ـ فليكن أيها الأوغاد .. سأطبق القاعدة الأولى ، فى حياتنا كرجال مخابرات.. إن لم يكن من الموت بد، فلنمت كما يموت الرجال ..

قالها ، وهبَّ واقفًا بغتة ، وهو يصرخ :

ـ هكذا .

وضغط زناد مسدسه ..

وضغط الحراس أزندة مدافعهم الآلية ..

وانطلقت الرصاصات ..

بمنتهى العنف ..

* * *

ألقى (ديلشمسكى) نظرة شديدة التوتر على ساعة يده ، وهو يقف في مطار (جورج تاون) ، وغمغم فى عصبية ، ملتقطا هاتفه المحمول :

ـ تلك العاصفة السخيفة أضاعت منا وقتًا ثمينًا للغاية .. كان ينبغى أن نكون هناك الآن .. سنخسر ثلاث ساعات أخرى على الأقل .

غمغم مندوب (الموساد) فى (جيانا) :

ـ وما الذى بيدنا لنفعله يا أدون (ديلشمسكى) ؟!

أجابه (ديلشمسكى) فى صرامة :

ـ ابحث عن هليكوبتر قوية ، وطيَّار جيد ، لا يبالى بالطيران فى قلب العاصفة ، وافعل هذا بأقصى سرعة .

انعقد حاجبا المندوب ، وهو يغمغم :

ـ لن يكون هذا سهلا يا أدون (ديلشمسكى) .

أجابه فى حدة ، وهو يشيح بوجهه :

ـ وهو ليس مستحيلا أيضًا .

مطَّ المندوب شفتيه ، وانصرف لتنفيذ مهمته العسيرة ، فى حين بدا (ديلشمسكى) شديد التوتر والاهتمام ، عندما سمع صوت محدثُه ، وهتف يقول :

ـ أنا (ديلشمسكى) .. ما آخر الأخبار ؟!

أتاه صوت مدير (الموساد) الجديد (زيلمان) ، وهو يقول :

ـ يبدو أن الأخبار صحيحة يا (رون) .

سأله فى توتر :

ـ كيف ؟!

أجابه (زيلمان) ، وهو يراجع كل ما وصله من تقارير ، خلال الساعات الأخيرة :

ـ تلك الطائرة الخاصة ، التى فرَّ بها (أدهم) و (صاحبته) من (لارناكا) فى (قبرص) ، هبطت بالفعل فى مطار خاص صغير ، على مسافة عدة كيلومترات من (دبلن) فى (إيرلندا) ، وكان فى انتظارها فريق من رجال المخابرات المصريين ، فى سرية بالغة ، وتحت إجراءات دقيقة للغاية ، نجح أحد عيوننا فى اختراقها ببراعة مدهشة ، وشاهد سيارة إسعاف صغيرة ، كانت تنتظر عند المطار الخاص ، ولم تكد تهبط الطائرة ، حتى هرع رجلان من سيارة الإسعاف إليها ، وتعاونا مع أحد رجال المخابرات المصريين ، لإنزال جثة داخل كيس من البلاستيك

السميك ، تم حملها إلى سيارة الإسعاف ، التى انطلقت بها على الفور ، وخلفها سيارتان من سيارات رجال المخابرات ، الذين انضمَّت إليهم زميلة (أدهم صبرى) ، وكانت تبكى فى مرارة شديدة طوال الوقت.

صمت (ديلشمسكى) بضع لحظات ، وهو يدرس الأمر فى ذهنه ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ هذا ليس دليلا .. ربما بقى (أدهم صبرى) داخل الطائرة ، حتى انصراف الجميع ، كنوع من الخداع !

أجابه (زيلمان) :

ـ لم يحدث هذا بالتأكيد ؛ لأن رجلنا لم يكتف بالمراقبة فحسب ، وإنما تسلل إلى الطائرة ، بعد انصراف الجميع ، فوجدها خالية تمامًا ، كما رأى فى كابينة القيادة ، وعند المقاعد الخلفية ، كمية من الدماء ، توحى بأن أحدهم قد نزف بشدة ..

صمت (ديلشمسكى) بضع لحظات أخرى ، جعلت مديره يسأله :

ـ ما زلت تشعر بالشك .. أليس كذلك ؟!

زفر (ديلشمسكى) ، قائلا :

ـ سيِّدى .. (أدهم صبرى) ثعلب كبير ، ورجال المخابرات المصرية أذكياء وبارعون للغاية ، وربما فعلوا كل هذا لخداعنا ، حتى نتصوَّر أن (أدهم صبرى) قد انزاح عن الساحة .

أجابه (زيلمان) فى حزم :

ـ المصريون بذلوا جهدًا مدهشًا ، لإخفاء ما أخبرك به الآن ، ولولا براعة رجالنا لما كشفنا الأمر أبدًا .

غمغم (ديلشمسكى) ، والشك ما زال يلتهم نفسه :

ـ حقًا ؟!

قال المدير متابعًا ، وكأنه لم يسمعه .

ـ لقد اتخذوا كل إجراءاتهم فى سرعة مدهشة ، ودون أن يعلنوا شيئًا ، أو حتى يفعلوا ما يمكن أن يثير الشكوك .. الجثمان تم نقله بعد ساعة واحدة إلى (لندن) ، باعتبارها جثة ديبلوماسى مصرى ، لقى مصرعه فى حادث سيارة فى (دبلن) .. بل لقد صنعوا حادث السيارة بالفعل ، فى طريق (دبلن) (بلفاست) .. وفى سفارتهم فى (لندن) ، تمت كل الإجراءات ، لنقل الجثة إلى (القاهرة) ، فى أسرع وقت ممكن .. ولقد تم شحنها بالفعل ، على أوَّل طائرة ، وبصحبتها زميلته التى لم تتوقَّف عن البكاء قط .

غمغم (ديلشمسكى) :

- ما زلت لا أشعر بالارتياح .

هتف به (زيلمان) فى صرامة :

- وماذا لو أن (أدهم صبرى) لم يلق مصرعه بالفعل ؟! لقد كشف المصريون خطتنا على أية حال ، وبوجود (أدهم) أو موته ، فهم سيتحركون بأقصى سرعة حتمًا .

قال (ديلشمسكى) فى عصبية :

- الفارق كبير يا سيدى .

أجابه (زيلمان) بنفس الصرامة :

- كل رجال المخابرات المصريين أقوياء .

ثم استدرك فى سرعة .

- ولكن ليس بمثل قوتنا بالطبع .

غمغم (ديلشمسكى) :

- بالتأكيد .

ثم انهى المحادثة ، وهو يقول بغير اقتناع :

- على أية حال ، سأواصل العمل باعتبار أن الخطر ما زال فى ذروته ، وإذا ما بدت أية معلومات جديدة ، أبلغونى بها على الفور .

على الرغم من كل التأكيدات والمعلومات ، لم يكن باستطاعته أن يصدّق أبدًا ، أن (أدهم صبرى) قد لقى مصرعه ..

صحيح أن إصاباته تكفى لقتل أى شخص عادى ، إلا أن بنيته القوية يمكن أن تحتمل هذا ، واعتياده الألم يجعل قدرته على المقاومة أعلى بالتأكيد(*) .

كل ما سيحتاج إليه هو بعض السوائل الطبية ، بتوازن مدروس ، ليستعيد كل ما فقده من طاقة ..

ومن دم ..

ثلاث أو أربع ساعات من النوم العميق ، يمكن أن تفعل الكثير ..

الكثير جدًا ..

(*) لكل شخص قدرة محدودة على احتمال الألم . فالبعض قد ينهار مع شكة دبوس صغير ، فى حين قد يحتمل آخر مغصًا كلويًا حادًا ، دون أن يطلق صرخة ، أو آهة ألم واحدة . وهذا يعتمد على عوامل شتى ، منها إمكانيات جسده الطبيعية ، وتدربه ، أو خبراته السابقة مع الألم ، حتى إنه لدى الروس تدريبات خاصة لرفع الحد الأدنى للشعور بالألم .

ولكن لو أن (أدهم صبرى) قد لقى مصرعه حقًا ، فسيعنى هذا أن الأمور كلها ستتغيَّر تغيُّرًا كبيرًا ..

ودائمًا ..

إنـه حتـى لا يستطيع أن يتصوَّر كيـف سيصبح صراع المخابرات العربى الإسرائيلى ، بدون (أدهم صبرى) ..

ربما لو ..

قاطع أفكاره بغتة صوت مندوب (الموساد) ، وهو يقول :

ـ عثرت عليه .

انعقد حاجبا (ديلشمسكى) ، وهو يلتفت إليه فى حدة ، قائلا :

ـ ما الذى عثرت عليه ؟!

أشار الرجل بإبهامه خلف ظهره ، وهو يجيب متوترًا :

ـ طيَّار الهليوكوبتر يا أدون (ديلشمسكى) .. لقد طلبت منى البحث عنه .

ظلّ (يارون) معقود الحاجبين لبضع لحظات ، وكأنما لا يذكر شيئًا عن الهليوكوبتر والطيَّار ، ثم لم يلبث أن هتف ، وهو يعيد هاتفه المحمول إلى جيبه :

ـ آه .. ومتى سيأتى ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

ـ سنذهب نحن إليه ، ريثما يعدّ طائرته للإقلاع .. إنه طيَّار مغامر ، لا يخشى بأس العاصفة ، ويقول : إنه اعتاد الطيران فى ظروف غير ملائمة قديمًا .

سأله (يارون) ، وهو يسرع إلى سيارة المندوب :

ـ ما الذى يعنيه بهذا ؟!

أجابه الإسرائيلى ، وهو يحتلّ مقعد القيادة ، ويدير محرك السيارة :

ـ لقد كان يعمل لحساب بعض تجار المخدرات فى السابق .

هتف (ديلشمسكى) ، والسيارة تنطلق :

ـ آه .. فهمت .

ثم أضاف ، وهو يلتقط هاتفه المحمول مرة ثانية :

ـ إننى أحب التعامل مع أمثاله .

وواصلت السيارة انطلاقها ، وهو يطلب رقمًا جديدًا ، ولم يكد يسمع صوت محدثه هذه المرة ، حتى قال فى لهجة حازمة :

ـ (دوناهيو) .. أنا (ديلشمسكى) .. لا وقت

لمثل هذه المجاملات .. أخبرنى .. هل كل شىء يسير على ما يرام عندك ؟! عظيم .. استمع إلىَّ إذن ، فلدىَّ تعديل بسيط فى خطة الأمن .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى صرامة :

ـ اسمعنى ولا تناقش يا (دوناهيو) .. فى كل تعاملاتك معى ، حتى تنتهى هذه العملية ، عليك أن تسمع وتنفذ فحسب .. هل تفهم ؟!

انعقد حاجباه أكثر ، وهو يتابع :

ـ عظيم .. سجل فى ذهنك كل ما سأخبرك به إذن.

ثم راح يشرح له كل التعديلات المقترحة ، فى نظام الأمن ، الذى يحمى القاعدة السرية ..

وكانت تلك التعديلات كفيلة بجعل الاقتراب .. مجردَ الاقتراب من القاعدة ، يعدّ ضربًا من المستحيل ..

بل هو المستحيل ..

بعينه .

★ ★ ★



٢ ـ لمــاذا ؟!

تطلَّع مدير المخابرات المصريةّ لحظة فـى صمت ، إلى الرائد (منى توفيق) ، التى دلفت إلى حجرتـه شاحبةَ الوجـه ، محمرّةَ العينين ، دامعتهما ، ثم لم يلبث أن أشار بيده إلى أقرب مقعد إلـى مكتبـه ، وهو يقول فى هدوء :

ـ تفضَّلِى يا (منى) .. لقد أدهشتنى حقًّا أن تطلبى لقائى ، فى هذه الساعة ، وبعد ساعات قليلـة من مغادرتك المستشفى .

ارتجفت شفتاها وهى تحاولُ التعليق على عبارته ، إلا أن صـوتها بـدا شـاحبًا ممتقعًا كوجهها ، وهى تسأل :

ـ هل تلك الأخبار الأخيرة صحيحة يا سيِّدى ؟!

ظلّ وجه المدير جامدًا بعض الوقت ، قبل أن يقول فى بطء :

ـ أتقصدين أخبار (أدهم) ؟!

تنحنح مساعده فى حرج ، فسرت فى جسدها قشعريرة باردة ، وهى تجيب :

- نعم يا سيِّدى .. هذا ما أقصده بالضبط .. إننى لم أستطع البقاء فى منزلى ، بعد ما سمعت هذا .. حتى (قدرى) لم يجرؤ على الحضور ، و..

قاطعها المدير فى حزم :

- الأخبار صحيحة يا (منى) .

اتسعت عيناها عن آخرهما ، فى ارتياع رهيب ، وهى تصرخ :

.. صحيحة ؟!

تنحنح مساعد المدير مرة أخرى ، وأشاح بوجهه فى توتر شديد ، فى حين نهض المدير من خلف مكتبه ، وربَّت على كتفها فى تعاطف ، مغمغمًا :

- مصيرنا كلنا إلى الفناء أيتها الرائد .. كلنا سنلقى حتفنا يومًا ما ، على نحو أو آخر .

انفجرت باكية فى عنف ، وهى تهتف :

- ولماذا هو ؟! لماذا ؟!

قلب كفيه ، قائلا :

- لا يوجد لماذا ، فى مثل هذه الأمور يا (منى) !

الله (سبحانه وتعالى) يختار ، وما علينا سوى الخضوع .. وفى حالة (أدهم) ، كانت الإصابات أفدح مما يمكنك تصوُّره ، حتى إنه لم يحتمل ، و ...

صرخت تقاطعه :

- لا ..

ثم انهمرت دموعها كالسيل ، وهى تكمل :

- لا تنطقها .. أرجوك .

تنهَّد المدير ، مغمغمًا فى أسى :

- فليكن يا (منى) .. لن أفعل .

تراجعت بوجه أشبه بالموتى ، وهى تغمغم :

- إذن فهذا خبر صحيح ، وقول نهائى .

تمتم المدير :

- للأسف .

لوَّحت بذراعها فى قوة ، صارخة :

- لن .. لن أصدِّق هذا .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يقول فى دهشة :

- لن تصدقيه ؟!

هتفت :

- نعم .. لن أصدِّقه .. لن أصدِّق أن (أدهم) قد

مات .. مستحيل !.. ليس بهذه البساطة .. لن ينتهى أمره كأى شخص عادى .

قال المدير فى توتر :

- إنه مجرَّد بشر .

صرخت :

- لن أصدَق .

نهض مساعده فى قلق ، واتجه نحوها ، قائلا :

- (منى) .. أنت تحتاجين إلى عقار مهدئ ؛ حتى يمكنك تجاوز الصدمة .

صرخت ، وهى تتراجع فى حدة :

- لا .. لست بحاجة إلى شىء .. إنه لم يمت .. (أدهم) لم يمت .. إنها مجرَّد خدعة ، كما حدث من قبل .. (أدهم) ما زال حيًا ، وسيعود إلينا ، بعد أن ينهى مهمته بنجاح .

صاح بها المدير فى صرامة :

- (منى) .

صرخت فى عناد :

- إنه لا يزال حيًا .

ثم شدَت قامتها فى اعتداد ، مستطردة :

- وسترون أننى على حق .

تبادل الرجلان نظرة دهشة ، قبل أن يسألها مساعد المدير ، فى حذر حائر :

- كيف تكونين بهذه الثقة ؟!

أجابته فى حزم :

- لأننى لم أتلق تأكيدًا بمصرعه بعد .

تبادل الرجلان نظرة دهشة أخرى ، قبل أن يتساءل المدير فى توتر :

- تأكيد ممن ؟!

رفعت يدها إلى صدرها ، وهى تجيب فى حزم شديد :

- من قلبى .

قالتها ، ودارت على عقبيها ، على نحو عسكرى محض ، ثم اندفعت تغادر الحجرة ، فى خطوات واسعة سريعة ، وتغلق الباب خلفها فى عنف ، تاركة الرجلين خلفها فى صمت حائر ذاهل ، قبل أن يلتفت المساعد إلى المدير ، قائلا :

- عجبًا ! كيف تتحدث ضابط مخابرات بهذا الأسلوب ؟!

أشار المدير بيده ، وهو يعود إلى مكتبه ، ويقول :
- لا تنس أن قلبها يتمزّق بمنتهى العنف .
تنهّد المساعد ، قبل أن يلتفت إلى المدير ، قائلاً :
- كانت قسوة بالغة منا ألا نخبرها بالحقيقة يا سيِّدى .
مطّ المدير شفتيه ، مغمغمًا :
- أعلم هذا .
ثم جلس على مقعده ، مستطردًا فى أسف :
- ولكن ما باليد حيلة !
قال مساعده :
- إنها واحدة منا ، وكان ينبغى أن تعلم أن العقيد (أدهم) ما زال على قيد الحياة ، وأنه سليم معافىً .
أشار المدير بسبّابته ، قائلاً فى حزم :
- صحيح أنها واحدة منا ، ولكن الكل يعلم أنها وثيقة الصلة بـ (ن - ١) ، وربما كان هناك من يرصد تحركاتها وانفعالاتها ، على نحو أو آخر ، لذا فمن الأفضل أن تظلّ معتقدة أن (ن - ١) قد لقى مصرعه .

هزّ المساعد رأسه ، مغمغمًا :
- يا للمسكينة !
ثم لوّح بيده ، مستطردًا :
- الواقع أن سيادة العميد (أدهم) قد نجا بأعجوبة يا سيِّدى .
أشار المدير بيده ، قائلاً :
- الفضل لله (سبحانه وتعالى) ، ولسرعة بديهة (نادية) ، وحسن تصرُّفها وتدبيرها ، فما إن فقد (ن - ١) وعيه فى الطائرة ، وخُيِّل إليها أنه قد لقى مصرعه ، حتى قفزت الفكرة إلى رأسها مباشرة .
وتراجع فى مقعده بارتياح ، متابعًا :
- لقد أدركت أن كل ما يعانيه ، يعود إلى أنهم مستعدون لفعل أى شىء فى الكون ، فى سبيل التخلُّص منه ، وإزاحته عن طريقهم إلى الأبد ، وأكبر دليل على هذا ذلك الجنون ، الذى أصابهم فى مطار (لارناكا) ، وجعلهم يحولون المكان إلى ساحة قتال ، تتحدَّث عنها كل الصحف ووكالات الأنباء الآن .
أشار المساعد بسبّابته ، قائلاً :
- ولكن أحدًا لم يكشف الهوية الحقيقية للمتقاتلين .

وافقه المدير بإيماءه من رأسه ، قبل أن يتابع فى حزم :

- المهم أن (نادية) أدركت الموقف ، ووجدت أن أفضل وسيلة لتهدئة الأمر ، وإيقاف الصراع ، ومنح (أدهم) مهلة كافية لالتقاط أنفاسه ، واستعادة ما فقده من طاقته ودمائه ، هى أن تعلن بوسيلة ما ، أنه قد لقى مصرعه ، متأثرًا بجراحه .

ابتسم المساعد ، مغمغمًا :

- كان إجراءً عبقريًا منها أن أجرت اتصالها عبر أحد الهواتف المدنية ، التى نعلم جيدًا أنها مراقبة .

تنهَّد المدير فى ارتياح ، قائلا :

- هذا صحيح ، والحمد لله (سبحانه وتعالى) أن استطعنا تدبير الموقف كله بهذه السرعة .. لقد أعددنا منطقة هبوط فى (اليونان) ، حيث تم نقل (أدهم) إلى سيارة إسعاف خاصة ، عكف داخلها أربعة من كبار أطبائنا هناك على إسعافه وعلاجه ، حتى إنهم أجروا له عملية جراحية عاجلة ، لإخراج رصاصتين من جسده ، بأقل إجراءات ممكنة ، وحصل على لتر من الدم ، ولترين من السوائل المعادلة ، فى

نفس الوقت الذى استقلَّ فيه طيَّار آخر تلك الطائرة الخاصة ، التى حضرت بها (نادية) مع (أدهم) ، واصطحب معه زميلة تشبهها من بعيد ، وانطلقا إلى (دبلن) ، بعد أن سرَّب رجالنا هناك معلومة ، بدت وكأنها سرية للغاية ، حول استعدادات لاستقبال طائرة خاصة ، فى مطار سرى ..

ضحك المساعد ، وهو يقول :

- يمكننى أن أتخيَّل رجل (الموساد) هناك ، وهو يبذل جهدًا مضنيًا ؛ ليتسلَّل إلى ذلك المطار الخاص ، ويراقب رجالنا ، وهم يستقبلون زميلين ، يتظاهران بأنهما (نادية) ، مع جثة العميد (أدهم) . فى حين كان هذان الأخيران داخل طائرة خاصة جديدة ، من طراز (يو - ٧٠٦) ، ذات محركين ، تنطلق بهما عبر (أوروبا) ، بقيادة واحد من أمهر طيارى السلاح الجوى المصرى السابقين وأفضل طيارى (مصر) للطيران الحاليين ، حيث تزوَّدت بالوقود فى مطار خاص غرب (باريس) قبل أن تواصل رحلتها إلى (كراكس) ، و (أدهم) داخلها نائم فى عمق ، حتى يستعيد نشاطه وحيويته هناك .

ابتسم المدير ، وقال :

ـ مع خبراتى السابقة ، فى التعامل مع (ن ـ ١) ، أكاد أراهنك على أنك ، لو رأيته الآن ، بعد اثنتى عشرة ساعة من النوم ، وعلى الرغم من خضوعه لعمليتين جراحيتين بسيطتين ، لبدا لك مفعمًا بالنشاط والحيوية ، والحزم والعزم ، على نحو يجعله يبدو وكأنه رجل آخر تمامًا ، بخلاف ذلك الذى كان يترنح فى صعوبة ، عند مغادرته مطار (لارناكا) .

هزَّ المساعد رأسه ، وهو يغمغم :

ـ هذا هو العميد (أدهم صبرى) الذى نعرفه يا سيِّدى .

صمت المدير بضع لحظات، قبل أن يجيب فى حزم:

ـ نعم .. هذا هو (أدهم) الذى نعرفه .

ثم نهض من خلف مكتبه ، واتجه إلى النافذة ، التى تطلّ على ساحة المبنى ، ووقف أمامها صامتًا بضع لحظات ، قبل أن يضيف :

ـ والذى نعتمد عليه ، فى إنقاذ قمرنا الصناعى ، بعد الله (سبحانه وتعالى) .

وصمت لحظة أخرى ، ثم أردف :

ـ نعتمد عليه تمامًا .

نطقها وهو يعنى كل حرف منها .. كل حرف ..

★ ★ ★

« هل استيقظت ؟! »

تسللت العبارة إلى أذنى (أدهم) ، وهو يفتح عينيه ، داخل ذلك المنزل الآمن ، الذى استأجره مندوب المخابرات المصرية فى (كراكس) ، فأكمل جفناه طريقهما ، ليجد أمامه (نادية) ، جالسة على مقعد مجاور لفراشه ، وهى تبتسم ، قائلة :

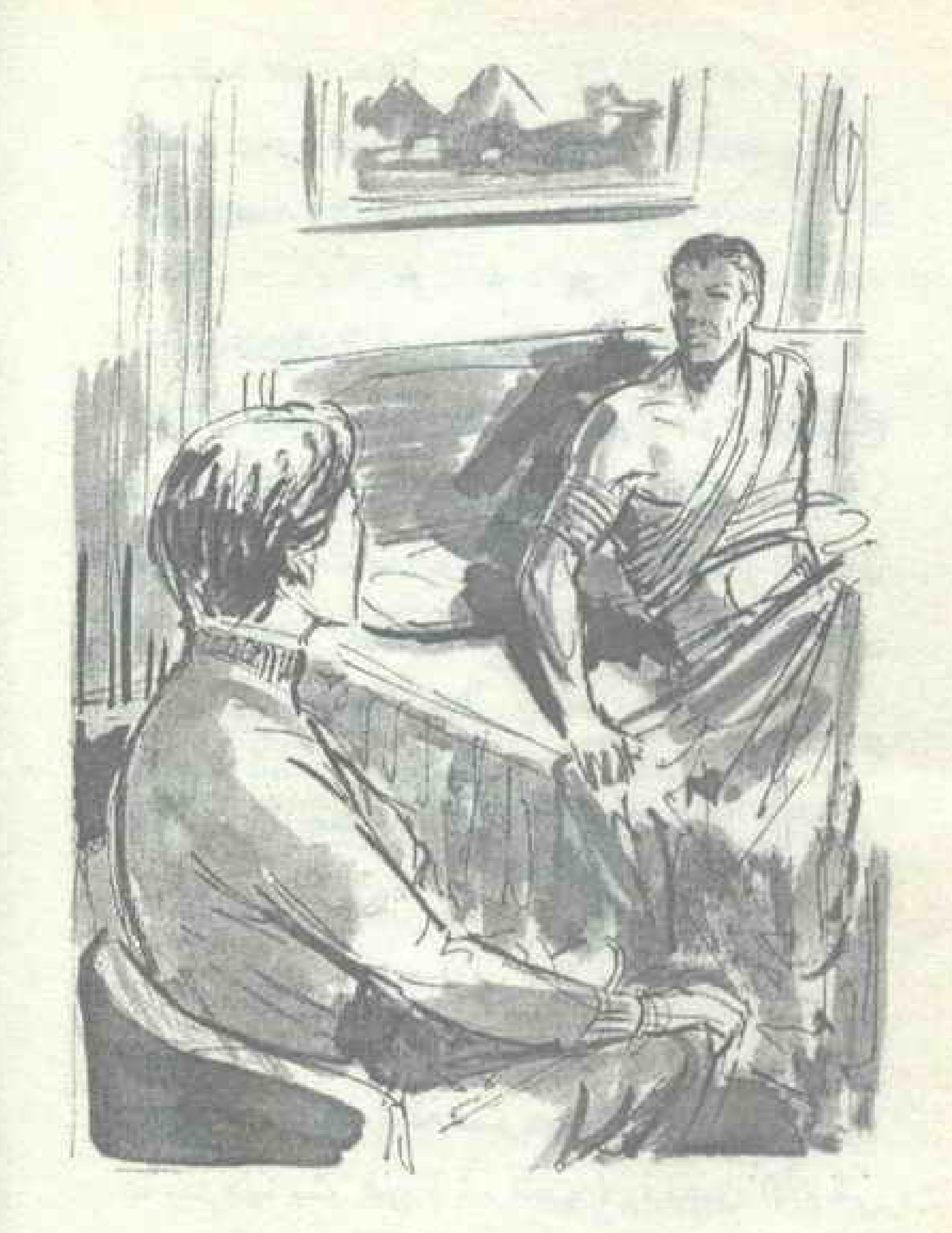
ـ حمدًا للّه على سلامتك .

كانت الآلام تنتشر بالفعل ، فى أكثر من جزء من جسده ، إلا أن هذا لم يمنعه من أن يعتدل فى خفة مدهشة ، ليجلس على طرف فراشه ، متسائلا :

ـ هل وصلنا ؟!

لوَّحت بكفها فى أناقة مسرحية ، مجيبة :

ـ مرحبًا بك فى (كراكس) .. نحن الآن فى السابعة والربع صباحًا ، طبقًا للتوقيت المحلى ،



كانت الآلام تنتشر بالفعل ، فى أكثر من جزء من جسده ، إلا أن هذا لم يمنعه من أن يعتدل فى خفة ..

ودرجة الحرارة تتراوح بين عشر وخمس عشرة درجة منوية ، و..

قاطعها فى شىء من الصرامة :

ـ رباه ! هل أضعنا كل هذا الوقت ؟!

انعقد حاجباها ، وهى تقول فى حدة :

ـ آه .. لا شكر على واجب .. إننى لم أنقذ حياتك مرتين ، إلا لكى أحظى بهذا التقدير الرقيق .

نهض من مجلسه ، والتقط سترته ، قائلا :

ـ إننى أدين لك بالشكر الجزيل بالفعل ، ولكن هذا لا يمنع من أن الوقت يمضى فى سرعة ، وعلينا أن نستغل كل دقيقة منه ، قبل أن ينجح الإسرائيليون فى تنفيذ مؤامرتهم الدنيئة ، ونسف قمرنا (نايل سات) .

مطت شفتيها فى ضيق ، وهى تنهض ، قائلة :

ـ حسنا أيها العبقرى الجاحد للجميل .. ارتد ثيابك ، وقل لى : ما الذى ينبغى أن نفعله ؟!

أجاب فى حزم :

ـ أجرى اتصالك بالقيادة فى (القاهرة) ، واحصلى على آخر ما توصلوا إليه ، بشأن عملية (النيل) .

توقفت ، قائلة :

ـ آه .. لقد فعلت ، منذ سبع عشرة دقيقة بالتحديد .

سألها فى اهتمام :

ـ وماذا لديهم ؟!

أجابته فى حماس :

ـ علماؤنا أمكنهم تحديد موقع الإطلاق ، ونوع الصاروخ المستخدم ، والموعد المناسب لقصف (نايل سات) بالصواريخ ، من هذه المنطقة ..

سألها فى اهتمام أكثر :

ـ وماذا قالوا بالضبط ؟!

أجابت فى سرعة :

ـ قاعدة الإطلاق ستختفى وسط أدغال (فنزويلا) ، بين خطى الطول ٦٢°م ، ٦٦°م غربًا ، وخطى العرض ٨°م ، و ١٠°م ، شمال خط الاستواء والصاروخ المستخدم من طراز (سكاى آى) (م و ـ ٢٢) ، وسيرسلون تصميماته كاملة ، عبر شبكة (الأنترنت) الخاصة بالجهاز ، أما موعد الإطلاق ، فهو بين الخامسة والنصف والسادسة والنصف ، من مساء اليوم .

انعقد حاجباه ، وهو يلقى نظرة على ساعته ، مغمغمًا :

ـ ألم أقل لك : إننا قد أضعنا وقتًا ثمينًا للغاية ؟!

كان يشعر بالتوتر ، مع كل دقيقة تمر ، دون أن يبلغ موقع الإطلاق ، أو يتوصل إلى جديد ، يقود إلى إيقاف المؤامرة ضد القمر الصناعى المصرى ..

وعلى الرغم من آلامه ، والجراحات التى أجريت له ، راح عقله يعمل بسرعة ، بحثًا عن وسيلة للتوصُّل إلى الموقع ، خلال الساعات العشر القادمة .. والحاسمة ..

وبكل توتره ، سأل (نادية) ، التى تهمّ بمغادرة الحجرة :

ـ ماذا لديهم أيضًا ؟!

تنهَّدت ، قائلة :

ـ أخبار مؤسفة .. لقد فقدنا (نادر) .. أحد أفضل رجالنا ، وهو يسعى لمعرفة مكان (جيهان) ، التى اختطفتها سيِّدة غامضة ، فور وصولها إلى (نيويورك) ، و ..

قاطعها (أدهم) ، بكل دهشة وتوتر الدنيا :

ـ رباه !.. (نادر) ، و (جيهان) ، وسيِّدة غامضة ؟! متى حدث كل هذا ؟!

روت له كل ما لديها من معلومات ، فى سرعة ودقة ، واستمع هو إليها فى توتر شديد ، وقد انعقد حاجباه فى شدة ، حتى انتهت مما لديها ، فظلَّ صامتًا لبضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ يبدو أنه ما إن يغلق المرء عينيه لبضع ساعات، حتى تنقلب الدنيا فى كل اتجاه ، على رءوس المقربين إليه .

أشارت (نادية) بيدها ، قائلة :

ـ رجالنا سيتولون أمر (جيهان) ، وتلك السيِّدة الغامضة ، و ..

قاطعها فى حزم صارم :

ـ لن يفلح هذا .

ثم التقط سمَّاعة الهاتف ، مستطردًا :

ـ الأمر يحتاج إلى تحرُّك سريع ، وبوسائل لا يمكن لجهاز مخابرات محترم اللجوء إليها .

سألته فى دهشة قلقة ، وهو يضرب أزرار الهاتف فى حزم :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابها بصوت قوى ، وكأنما استعاد كل نشاطه وحزمه وعزمه دفعة واحدة :

ـ أعنى أننا نواجه سيِّدة غامضة ، اختطفت زميلة لنا ، وهذا يقودنا إلى المثل الشهير : لا يفلَّ الحديد إلا الحديد .

كررت بمزيد من الدهشة والقلق :

ـ ماذا تعنى ؟!

صمت لحظة ، قبل أن يجيب فى صرامة :

ـ أعنى أننا بحاجة إلى إكمال تلك الحلقة الأنثوية .

انفرجت شفتاها ، لتلقى سؤالها للمرة الثالثة ، لولا أن اعتدل هو ، على نحو يوحى بأنه قد سمع صوت محدثه ، على الطرف الآخر للخط ، وهو يقول :

ـ أنا (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

ولأنه قد استخدم اسمه الحقيقى ، فى ظل هذه الظروف ، وبكل هذا الوضوح ، فقد وثب حاجباها إلى أقصى جبهتها ، فى دهشة بلا حدود ..

فحتى هذه اللحظة ، لم تكن قد فهمت ما يعنيه .. لم تكن قد فهمته قط ..

★ ★ ★

تنحنح عالم الفضاء والصواريخ الأمريكى الشاب ، وعدّل منظاره الطبى فوق أنفه ، وهو يتطلّع فى انبهار إلى (كلارا فلورانس) ، ذات الجمال الساحر ، والتى جلست أمامه كصورة مجسّمة للفتنة ، فى ثوب أسود ضيق ، وقد وضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى، وراحت تنفث دخان سيجارتها الطويلة فى بطء ، واثقة من تأثيرها عليه ، وهى تقول بصوت ناعم دافئ :

- يقولون إنك ، وعلى الرغم من صغر سنك ، واحد من أفضل وأبرع العلماء فى مجالك .. أهذا صحيح ؟!

ازدرد العالم الشاب (جون ويليامز) لعابه فى صعوبة ، وهو يجيب :

- لقد .. لقد حصلت على عدة جوائز فى مجالى يا سيّدتى ، من عدة جهات علمية لها وزنها ، ولدى عرض من وكالة (ناسا) للفضاء والطيران ، بـ ..

قاطعته فى شىء من الضجر :

- هل راجعت برنامجى ؟!

لم ينتبه إلى مقاطعتها ، من فرط انبهاره بها ، وهو يجيب :

- راجعته بنفسى يا سيّدتى .

مالت نحوه ، ونفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، متسائلة :

- وما رأيك ؟!

هزّ كتفيه ، وعدّل منظاره فوق أنفه ثانية ، وهو يقول :

- إنه مجرّد برنامج للتحكُّم الآلى عن بعد .

تراجعت هاتفة فى حنق :

- مجرّد برنامج ؟!

تابع بنفس الاهتمام ، دون أن ينتبه إلى حنقها وسخطها :

- صحيح أنه مصنوع بدقة مدهشة ، بحيث يمكنه السيطرة على أى برنامج آخر ، والهيمنة على كل برامج التوجيه الأدنى ، إلا أنه قاصر بعض الشىء ، فى مجال التوجيه عن بعد ، بعد تمام السيطرة .

انعقد حاجباها ، وهى تسأله فى اهتمام :

- ما الذى يعنيه هذا ؟!

اعتدل فى مقعده ، وتدفّق الحماس فى صوته ، وهو يجيب :

ـ يعنى أننا ، باستخدام برنامجك هذا ، نستطيع السيطرة على كل أجهزة التوجيه ، المعدّة مسبقًا ، من حيث بدء التشغيل ، والعد التنازلى ، وتحديد موعد وزاوية الإطلاق ، ولكن ما إن ينطلق الصاروخ بالفعل ، حتى تتراجع فاعلية البرنامج ، من الدرجة الأولى إلى الثانية ، إذ إن معادلات السيطرة والتوجيه المباشر فيه قاصرة إلى حد ما .

ازداد انعقاد حاجبيها ، ونفثت دخان سيجارتها فى عصبية ، وهى تقول فى حدة واضحة :

ـ أتخبرنى بهذا الآن ؟!

بدت عليه حيرة مرتبكة ، وهو يقول :

ـ ولكننى لم أعلم بالأمر سوى الآن يا سيّدتى .

عضت شفتها السفلى ، وكأنما تعاقب نفسها على إهمالها ، وعادت تنفث دخان سيجارتها فى عصبية زائدة ، قبل أن تلوّح بالسيجارة ، متسائلة :

ـ المهم .. هل يمكن إصلاح هذا ؟!

أجابها فى حماس :

ـ بالتأكيد .

مالت نحوه ، مضيفة فى صرامة :

ـ وبأقصى سرعة ؟!

التقى حاجباه فى توتر ، وهو يغمغم :

ـ وما المقصود بأقصى سرعة ؟!

قالت فى حزم :

ـ المقصود أن يتمّ هذا خلال بضع ساعات .

سألها بأنفاس مبهورة :

ـ كم ساعة ؟!

تطلّعت إلى عينيه مباشرة ، بنظرة صارمة عصبية ، قبل أن تتراجع فى بطء ، مجيبة تساؤله :

ـ ثلاث ساعات .

اتسعت عيناه فى ارتياع ، فتابعت فى صرامة :

ـ على أقصى تقدير .

ظلّ يحدّق فى عينيها الساحرتين بضع لحظات ، فى انبهار شديد ، قبل أن يتنحنح مرة أخرى ، ويقول :

ـ أعتقد أن باستطاعتى هذا .

تألّقت عيناها ، وهى تغمغم :

ـ عظيم .. هذا ما أبتغيه بالضبط .

وتراقصت على شفتيها الجميلتين ابتسامة وحشية عجيبة ، وهى تضيف بكل شراسة الدنيا :

ـ السيطرة الكاملة .

وتألقت عيناها أكثر ، على نحو عجيب ..

ومخيف ..

للغاية .

★ ★ ★



٣ ـ أيـن ؟!

ارتجفت الكلمات على شفتى سكرتيرة كلية (بن جوريون) للناشئين ، فى (تل أبيب) ، على نحو عجيب، وهى تدلف إلى مكتب مديرة المدرسة ، قائلة:

ـ هـ .. هناك سيِّد يطلب مقابلتك ، ويؤكِّد أن الأمـر عاجل وخطير للغاية .

امتقع وجه المديرة ، وهى تغمغم :

ـ عاجل وخطير للغاية ؟! ماذا أصاب هذا البلد ؟! إننى أحتلّ منصبى هذا منذ خمسة أعوام كاملة ، وكـل شىء يسير بمنتهى الهدوء ، ثم فجأة ، صار الجميع يتحركون من أجل أمور عاجلة وخطيرة .

أشارت السكرتيرة بيدها ، قائلـة بنفـس الصـوت المرتجف :

ـ إنه هنا من أجل ذلك الطفل ..

اتسعت عينا المديرة فى ارتياع ، وهى تصرخ :

ـ من أجل ماذا ؟!

قبل أن تجيب السكرتيرة ، اقتحم الحجرة فجأة رجلان ، على نحو جعل المديرة تقفز من مقعدها مذعورة ، فى حين صرخت السكرتيرة الشمطاء فى خوف ، وأحد الرجلين يتوقف فى منتصف الحجرة ، ويعقد ساعديه أمام صدره ، قائلا فى صرامة :

ـ من أجل ذلك الطفل يا سيدتى .. الطفل الذى يسعى خلفه الجميع .

كادت المديرة تفقد وعيها ذعرًا ، وهى تسأله :

ـ سيدى .. ألنت أحد ضباط (الموساد) ؟!

ابتسم الرجل الآخر فى سخرية ، فى حين قال الأول فى حزم :

ـ كلا يا سيدتى .. لست أحد ضباط (الموساد) .

هتفت السكرتيرة :

ـ حقًا ؟!

فانعقد حاجبا (تيودور زيلمان) ، وهو يكمل فى صرامة :

ـ أنا مدير (الموساد) .

شهقت السكرتيرة ، واندفعت محاولة الخروج من

المكان ، ولكن الرجل الآخر أمسك ذراعها فى خشونة ، قائلا فى قسوة :

ـ من سمح لك بالخروج ؟!

أما المديرة ، فقد غابت الدماء من وجهها ، حتى بدت أشبه بالموتى ، وهى تهتف بصوت أشد شحوبًا منها :

ـ ما الذى تريدونه من هذا الطفل ؟! أية أهمية يمثلها ؟!

قال (زيلمان) فى صرامة :

ـ ليس هذا من شأنك .

غمغمت فى انهيار :

ـ هذا ما أتمناه طوال الوقت يا سيدى ، ولكنكم تصرون على أن يكون لى شأن به ، على الرغم منى .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة عجيبة ، وكأنما يتلذذ بما أصابها من رعب ، وهو يقول :

ـ فقط أخبرينا أين هو ؟!

ازدردت لعابها فى صعوبة ، قائلة :

ـ إنه ليس هنا .

صرخ (زيلمان) فى غضب :

ـ ليس ماذا ؟!

غاصت المديرة فى مكتبها ، واحتبست الكلمات فى حلقها ، من شدة الرعب ، فى حين هتفت السكرتيرة :

ـ كلهم ليسوا هنا .

استدار إليها (زيلمان) فى شراسة ، فاستطردت فى سرعة :

ـ فصله كله فى معسكر فى (يافا) ، وسيعودون مساء الغد .

انعقد حاجبا (زيلمان) فى شدة ، فلوَّحت المديرة بيدها ، وقالت فى توتر :

ـ يمكننا استدعاؤهم فى أى وقت ، و ..

قاطعها فى صرامة :

ـ كلا ..

سألته حائرة :

ـ ألا تريد الطفل ؟!

أشار إليها فى صرامة ، قائلا :

ـ كلا .. لست أريده الآن ، ولكننى أريد منك أن تضعيه تحت بصرك طوال الوقت ، دون أن يشعر أحد بهذا .

ارتجف صوتها ، وهى تقول :

ـ ولكن .. ولكننى كنت أفكِّر فى فصله ، أو تحويله إلى مدرسة أخرى ، أو ..

قاطعها فى صرامة :

ـ كلا . ثم استدار لينصرف ، مضيفًا :

ـ نفذى ما آمرك به فحسب .

تمتمت فى انهيار :

ـ سمعًا وطاعةً يا سيِّدى .. سمعًا وطاعة .

غادر (زيلمان) المكان ، مع حارسه الخاص ، الذى سأله فى حيرة :

ـ لماذا لم تطلب إعادة الطفل يا سيِّدى ؟!

أشار (زيلمان) بيده ، وهو يدلف إلى سيارته ، قائلا :

ـ لسنا روضة أطفال ، ولن ننتدب أحدًا للعناية به .. المهم أن نتأكَّد من وجوده تحت أعيننا ، وفى متناول يدنا طوال الوقت ، فمن يدرى ؟! ربما .

لم يكمل عبارته ، فسأله حارسه فى اهتمام :

ـ ربما ماذا ؟!

صمت (زيلمان) بضع لحظات ، قبل أن يقول في حزم :

ـ من يدرى ؟!

ولم يضف حرفًا واحدًا بعدها ..

أى حرف ..

★ ★ ★

كانت العاصفة قد هدأت إلى حد كبير ، عندما وصلت الهليكوبتر ، التى تحمل (يارون ديلشمسكى) إلى (كومانا) ، فغادرها هذا الأخير ، وهو يقول لقائدها فى شىء من الصرامة :

ـ أعترف أنك تقود الهليكوبتر بمنتهى التهوُّر والحماقة ، ولكنك لست بارعًا بما يكفى ، فى هذا المضمار .

ابتسم الطيَّار فى سخرية ، وهو يقول :

ـ لقد وصلنا سالمين .. أليس كذلك ؟!

مطَّ (ديلشمسكى) شفتيه ، مغمغمًا :

ـ من حسن الحظ .

ثم التفت إلى رجل (الموساد) ، الذى كان فى انتظاره ، قائلاً :

ـ امنحه ألف دولار ، وليغرب عن وجهى بأقصى سرعة ..

تناول الطيَّار المبلغ ، وهو يقهقه ، قائلاً :

ـ ما دمت سأحصل على النقود ، يمكنك أن تسبنى لو أردت يا هذا .

قالها ، وارتفع بالهليكوبتر ، وضحكاته تتردَّد على نحو عجيب ، على الرغم من هدير مروحة الهليكوبتر ..

ومطَّ (ديلشمسكى) شفتيه مرة أخرى ، قائلاً :

ـ غبى !

ثم دلف إلى السيارة التى تنتظره ، وهو يسأل الرجل :

ـ هل أجريتم تعديلات الأمن ، التى أمرت بها ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ أدون (دوناهيو) أجرى التعديلات فور اتصالك يا أدون (ديلشمسكى) .. لقد أحطنا الموقع بسور من الأسلاك ، فى دائرة نصف قطرها مائتى متر ، وبارتفاع ثلاثة أمتار ، وأوصلناه بتيار كهربى ، قوته عشرة آلاف فولت ، ولدينا دستة من الحراس

المسلحين ، خارج ذلك السور، ينتشرون وسط الأدغال ، وكلهم من أصحاب الخبرات السابقة فى قتال الغابات ، كما وضعنا أجهزة مراقبة عادية فى كل موقع ، بالإضافة إلى أجهزة رؤية ليلية ، بالأشعة دون الحمراء ، للمراقبة وسط الظلام ، حتى لا نضطر لاستخدام أضواء تفصح عن موقعنا ، وفى النهاية تحوم الهليكوبتر حول الموقع طوال الوقت ، لكشف أية محاولات تسلل .

ثم تنهَّد ، مضيفًا :

ـ ولكن أخشى أن هذا سيرهق الرجال بشدة .

أجابه (ديلشمسكى) ، فى صرامة :

ـ دعهم يرهقون ، حتى السادسة مساءً ، وبعدها سيكون لديهم الكثير من الوقت للراحة والاسترخاء .

هزَّ الرجل كتفيه ، دون أن يجيب ، فالتقط (ديلشمسكى) هاتفه المحمول ، وضغط أزراره فى سرعة ، ثم قال عبره فى لهجة آمرة حازمة :

ـ أنا القائد يا (دوناهيو) .. نحن فى طريقنا إليك .. ابدأ المراحل الأخيرة للإطلاق ، فى تمام العاشرة ، سواء وصلت أنا أم لا ..

لابد أن نسير كل شىء بمنتهى الدقة .. هل تفهم؟! عظيم .. اتصل برجالنا فى مكتب (كوماتا) واطلب منهم تأمين المنطقة ، ومراقبة كل الغرباء وقتل كل من تحوم حوله الشكوك ، دون إبطاء أو استئذان .. لن أسمح بإفساد الخطة أبدًا .. هل تفهم ؟!

صمت بضع لحظات ، حتى أدلى (دوناهيو) بما لديه ، ثم قال :

ـ عظيم .

وأنهى المحادثة ، محاولا الاسترخاء فى مقعده ، وذهنه يراجع كل التفاصيل ..

كلها بلا استثناء ..

وفى أعماقه ، سرت موجة عنيفة من التوتر ، كادت تلتهم كيانه كله بلا رحمة ..

دقائق ، ويبدأ العد التنازلى ، لأكبر عملية فى حياته ..

العملية ، التى وضع عليها كل آمال وطموحات المستقبل ..

والتى لن يسمح لأى شىء ، أو أى مخلوق بإفسادها ..

مهما كان الثمن ..

★ ★ ★

« لا يمكننى استيعاب هذا قط !! » .

هتفت (نادية) بالعبارة ، فى توتر محنق ، وهى تجلس إلى جوار (أدهم) ، داخل سيارة رياضية صغيرة ، ينطلق بها هذا الأخير إلى (كوماتا) ، قبل أن تلوِّح بذراعها ، مستطردة فى حدة :

ـ أى شخص تعرَّض لما أصابك ، كان سيقضى أسبوعًا فى الفراش على الأقل .

قال فى حزم :

ـ ليس لدينا الوقت لهذه الرفاهية .

هتفت مستنكرة :

ـ رفاهية ؟! أية رفاهية تلك ، التى تتحدَّث عنها .. لقد استخرج الأطباء رصاصتين من جسدك ، والمفترض أن ..

قاطعها فى صرامة :

ـ هل يمكنك إقناع الإسرائيليين بتأجيل عمليتهم ، حتى أسترد أنا عافيتى ؟!

انعقد حاجباها ، وهى تقول فى عصبية :

ـ على الأقل كان بإمكانك أن تضع شاربًا مستعارًا ، أو تغيِّر من هيئتك ، كما كنت تفعل طوال الوقت فى (إسرائيل)(*) ، لا أن تنطلق بوجه عار كهذا ، بعد كل ما فعلناه ؛ لنقنع الجميع بمصرعك .

أجاب فى صرامة :

ـ أنت قلتها .. لقد فعلتها كثيرًا فى (إسرائيل) ، حتى لم أعد أحتمل المزيد ثم إن أحدًا لم يسألنى رأيى ، عندما قمتم بلعبة إدعاء مصرعى هذه ، كما أن حياتى أو موتى لا تعنيان شيئًا الآن .. لقد وصلنا إلى حلبة الصراع بالفعل ، والإسرائيليون يعلمون الآن أننا نعرف الكثير عن عمليتهم القذرة ، وأننا سنتحرك حتمًا لمنعهم ، وهذا يعنى أنهم سيلقون كل أقنعتهم ، وسيقاتلون بكل عنفهم وشراستهم ، وبوجوه عارية

(*) راجع قصة (الأصابع الذهبية) .. المغامرة رقم (١٢٢)

وأوراق مكشوفة ، حتى يربحوا معركتهم ، وفى مثل هذه الأمور ، يحلو لى دائمًا اللعب بالأسلوب نفسه .. وجوه عارية ، وأوراق مكشوفة .

سألته فى عصبية :

- هل تدرك ما الذى سيحدث ، عندما ندخل (كوماتا) على هذا النحو ؟!

أجاب بشىء من السخرية :

- بالطبع .. ستتفجَّر فى أعماقهم الدهشة ، ويستولى عليهم الفزع ، و ..

قاطعته فى حدة :

- إنه سؤال جاد .

أجابها فى سخرية :

- وجوابى أكثر جدية .. حاولى أن تضعى نفسك فى موضعهم ، عندما ترين شبح العدو فجأة أمامك .

قالت فى عصبية :

- فليكن .. من الواضح أنك أكثر عنادًا من أن تجرى حوارًا عاديًا .. على الأقل دعنا نتسلل إلى (كوماتا) ، دون أن يشعروا بنا ، أو ..

قاطعها فى سخرية أكثر :

- دون أن يشعروا بنا ؟!! أى دخول هذا يا زميلتى العزيزة ؟!! إننى أريد ظهورًا عاصفًا ، يفقدهم عقولهم ، ويدفعهم إلى القتال بمنتهى العنف والشراسة .

قالت فى حنق :

- هل تسخر منى ؟!

أجابها فى سرعة :

- مطلقًا ، ولكن هذا ما أسعى لدفعهم إليه بالفعل ، فكل شخص فى الدنيا ، يضع قدمه على أولى درجات الفشل ، عندما يصيبه الغضب ، ويسيطر على مشاعره ، ويفقده قدرته على حسن التفكير والتدبير ، وهذا ما أريدهم عليه ، عندما نتواجه بأوراق مكشوفة .

حدَّقت فيه بدهشة وانبهار لبضع لحظات ، قبل أن تتمتم :

- أنت ثعلب حقيقى .

ابتسم ، قائلا :

- أشكرك .

هزَّت رأسها فى قوة ، قائلة :

ـ من يراك الآن ، لا يتصورُ قط أنك كدت تلفظ أنفاسك الأخيرة ، منذ بضع ساعات !

تنهّد ، مغمغمًا فى خشوع عجيب :

ـ الحمد للّه (العلى القدير) .

انفرجت شفتاها ؛ لتقول شيئًا ما ، ولكنه أشار بيده ، قائلا فى حزم :

ـ ها هى ذى (كومانا) .

أدارت عيناها ، تتطلّع إلى مدخل المدينة الفنزويلية الصغيرة ، وسؤال قلق يقفز إلى رأسها ..

تُرى هل تفلح خطته هذه ؟!

وما الذى يمكن أن تكون عليه تلك المواجهة العنيفة ؟!

كيف سيقاتل بوجه عار وأوراق مكشوفة ، فى مثل هذه الظروف ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

★ ★ ★

تحرّك رجال مكتب (الموساد) فى (كومانا) ، بمنتهى السرعة والنشاط ؛ لتنفيذ ما أمرهم

به (ديلشمسكى) ، وهتف أكبرهم رتبة بزملائه الأربعة الآخرين :

ـ أحدنا فقط سيبقى فى المكتب ، لمتابعة أية تطورات ، ولتلقّى أيةَ أوامر جديدة ، وسنوزع أنفسنا فى المدينة ، وخاصةً عند مدخليها ومخرجيها ، وعلينا أن نرصد أى قادم جديد ، وسننفذ أوامر القائد، بشأن قتل كل من يُشتبه فى أمره ، مهما كانت شخصيته أو أهميته ، و ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع فجأة رنين جرس المكتب ، فاستلّ الخمسة مسدساتهم فى حركةً عصبيةً آليةً ، والتفتوا إلى بعضهم فى حدة ، قبل أن يهتف أكبرهم :

ـ من يمكن أن يأتى إلى هنا ؟!

تحرّك أحدهم فى سرعة ، متجهًا نحو باب الشقة ، وألقى نظرة عبر العين السحرية فى منتصفه(*) ، قبل أن يقول فى عصبية :

(*) العين السحرية : عدسة شديدة التحدب ، يطلق عليها اسم (عين السمكة) ، توضع فى الباب ، حتى يمكنها نقل صورة واسعة الزاوية ، إلى من بالداخل .

- إنها امرأة .

تبادلوا نظرة متوترة أخرى، قبل أن يغمغم كبيرهم:

- امرأة ؟! وماذا تريد منا ؟!

ارتفع رنين الجرس مرة أخرى ، فقال الرجل في صرامة :

- لا ريب في أنها قد أخطأت المكان .. اصرفها بسرعة . وإلا نسفت رأسها الغبي هذا بلا رحمة .

ابتسم الإسرائيلي في سخرية ، وهو يفتح الباب في حذر ، وأخفى مسدسه خلف ظهره ، وهو يسأل المرأة الواقفة في خشونة :

- ماذا تريدين ؟!

أجابته (نادية) بابتسامة كبيرة :

- صديقتي (راشيل) .. إنها تنتظرني .. أخبرها فقط أن (كيكي) قد وصلت .

قال في غلظة ، وهو يغلق الباب :

- لا توجد هنا (راشيل) .. ابحثي في شقة أخرى .

ولكن (نادية) اعترضت الباب، وهي تقول في عناد:

- ولكن هذا هو العنوان ، الذي أعطتني إياه (راشيل) .

صاح بها في حدة :

- قلت لك : لا توجد هنا (راشيل) أو (استر) .. إننا شركة خاصة ، و ..

قاطعته فجأة لكمة كالقنبلة ، مع صوت صارم ، يقول :

- كاذب .

كانت اللكمة من القوة ، حتى إنها اقتلعت الرجل من مكانه ، وألقت به ثلاثة أمتار كاملة إلى الخلف ، قبل أن يسقط على ظهره في عنف ، ويطير مسدسه بعيدًا ..

وقبل حتى أن يدرك رفاقه ما حدث ، انقضت عليهم صاعقة ..

صاعقة بشرية ، تحمل اسم (أدهم) ..

(أدهم صبري) ..

ففي نفس اللحظة ، التي ارتطم فيها الإسرائيلي الأول بالأرض ، كان (أدهم) يثب عبر الباب المفتوح ، ويلكم آخر في معدته ، ثم يلوي ذراعه ، ويدفعه نحو ثالث ، كان يرفع نحوه مسدسه ..

وارتطم الرجل بزميله ، الذي انطلقت رصاصته



ارتطمت المنفضة بوجه الرجل فى عنف ، فاقتلعته من موضعه ، وضربت به الجدار ، قبل أن يسقط أرضًا ..

بالفعل ، لتستقر فى الجدار المقابل ، فى نفس اللحظة التى التقط فيها (أدهم) منفضة سجائر ثقيلة ، وألقاها بكل قوته نحو الرابع ، هاتفا :

ـ تذكر دائمًا يا هذا .

ارتطمت المنفضة بوجه الرجل فى عنف ، فاقتلعته من موضعه ، وضربت به الجدار ، قبل أن يسقط أرضًا ، و (أدهم) يكمل :

ـ التدخين ضار جدًا بالصحة .

ثم استدار يمسك معصم الخامس ، قبل أن تنطلق رصاصته ، وهو يتابع :

ـ أما أنت ، فإليك نصيحة أخرى .

ثم هوى على فكه بلكمة كالقنبلة ، مضيفا :

ـ حاول أن تتحرك بسرعة أكبر ، فى المرة القادمة .

سقط الرجل أرضًا فاقد الوعى و (أدهم) ينفض كفيه ، قائلا فى صرامة :

ـ لو أنه هناك مرة قادمة .

اتسعت عينا (نادية) ، وهى تحدق فيه بدهشة عارمة ، غير مصدقة ما رأته عيناها ، فى الثوانى القليلة الماضية ..

إنها لم تجد الوقت حتى لتتحرك من مكانها ..

لقد انقضّ (أدهم) ، وراح يضرب يمنة ويسارًا كالبرق ، والرجال يتساقطون من حوله كالذباب ، قبل أن تدرك هى كيف فعل هذا !!

كيف قاتل بكل العنف والنشاط ، بعد ما كان عليه ، منذ ساعات قليلة مضت ؟!

وفى اللحظة التى خطت فيها داخل المكان ، كان (أدهم) ينقضّ على رجل (الموساد) الوحيد ، الذى بقى محتفظًا بوعيه ، ويجذبه من سترته ، ليجبره على الوقوف ، وهو يسأله فى صرامة ، جمّدت الدم فى عروقها هى :

- أين ؟!

اتسعت عينا الرجل فى رعب ، وهو يحدّق فيه ، هاتفًا :

- إنك .. إنك على قيد الحياة .. لقد أخبرونا أن ..

قاطعه (أدهم) فى صرامة أكبر :

- أين (ديلشمسكى) ؟!

شهق الرجل ، وهو يضرب الهواء بقدميه ، واتسعت عينا (نادية) ، وتلاحقت أنفاسها فى انبهار ،

عندما لاحظت أن ذراعى (أدهم) الفولاذيتين قد رفعتا الإسرائيلى ثلاثين سنتيمترًا عن الأرض ، وهما تلصقانه بالجدار ، والرجل يهتف مذعورًا :

- لست أدرى ! أقسم لك ..

قاطعه (أدهم) مرة أخرى :

- لا تقسم ؛ لأننى أعلم أنك كاذب .

هتف الرجل :

- أدون (ديلشمسكى) لم يخبر أحدًا بموقع القاعدة السرية .. إنه ..

قبل أن يتمّ عبارته ، هوت قبضة (أدهم) على معدته كمطرقة من الصلب ، فشهق فى قوة ، واتسعت عيناه فى ألم شديد ، وراح يلهث فى شدة ، و (أدهم) يسأله بنفس الصرامة المخيفة :

- ماذا لديك من معلومات ، بشأن الموقع السرى ؟!

كان الرجل يلهث بشدة ، من فرط الألم والذعر ، وهو يهتف :

- لا يمكننى أن أخبرك .. سيقتلوننى لو ..

هوت ضربة أخرى كالصاعقة على معدته ، فشهق كمن يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وسقط على وجهه أرضًا ، بعد أن أفلته (أدهم) ، الذى قال بكل صرامة الدنيا :

ـ اسمع يا هذا .. من سوء حظك أنه ليس لدى الوقت الكافى ، لاستجوبك بأسلوب مهذب أنيق ، لذا فأنا مصرّ على أن أحصل على كل المعلومات ، بأسرع وسيلة ممكنة ، حتى ولو اضطررت لتمزيقك أربًا .

هتفت (ندية) فى هذه اللحظة :

ـ (أدهم) .. جراحك تنزف مرة أخرى .. إنك تبذل جهدًا غير طبيعى .

تجاهل (أدهم) قولها تمامًا ، وهو يتابع حديثه الصارم مع الرجل :

ـ سأبدأ بتحطيم يدك اليسرى ، علّ هذا ينعش ذاكرتك .

صاح الإسرائيلى فى رعب :

ـ لا .. لا .. لن تفعل .. معلوماتنا عنك تقول إن ..

لم يكن قد أتمّ عبارته ، عندما هوى (أدهم) بكعبه على يده اليسرى ، فصرخ فى ألم رهيب ، وأمسك يده المحطّمة ، وهو يتلوّى ، و(أدهم) يقول :

ـ ما الذى تقوله معلوماتكم عنى أيضًا ؟!

هتف الإسرائيلى فى ألم مذعور :

ـ ما الذى تريد معرفته ؟!

أجابه فى صرامة :

ـ كل ما لديك .

لهث الرجل فى قوة أكثر ، قبل أن يجيب بكل ذعره وآلامه :

ـ لست أدرى أين تقع القاعدة بالضبط .. لم يخبرنا أحد .. كل ما أعلمه هو أن الرحلة إليها بالهليكوبتر ، تستغرق خمسًا وثلاثين دقيقة بالتحديد ، وأنهم قد ضاعفوا إجراءات الأمن والحماية حولها ، على الرغم من أنها مخفاة بمنتهى العناية ، ولا يمكن رؤيتها من الجو قط .

سأله (أدهم) :

ـ وماذا فعلوا ؟!

راح الرجل يشرح له كل إجراءات الأمن ، المحيطة بالقاعدة ، و (أدهم) يستمع إليه فى اهتمام شديد ، حتى انتهى من حديثه ، فسأله فى صرامة :

ـ ماذا لديك أيضًا ؟!

أجابه الرجل لاهثا :

- لقد بدأ العد التنازلى بالفعل ، وسيتم الإطلاق فى تمام السادسة مساء .

قال (أدهم) فى صرامة :

- هذا يكفينى .

قالها ، وهوى بلكمة كالقنبلة على فك الرجل ، الذى انتفض جسده فى عنف ، ثم سقط ليلحق برفاقه ، فى غيبوبتهم العميقة ..

وفى حزم ، اعتدل (أدهم) ، قائلا لرفيقته :

- هل تحملين خريطة (فنزويلا) ؟!

أجابته مبهورة :

- بالطبع .. إنها لدينا فى السيارة .

ثم استطردت فى قلق شديد :

- ولكن جراحك تنزف مرة أخرى ، و ..

قاطعها فى صرامة :

- سنحيطها ببعض الضمادات فيما بعد .

سألته فى عصبية :

- متى ؟! بعد أن تفقد لترا آخر من دمك ؟!

أجابها فى لهجة قوية ، وهو يغادر المكان :

- هيا .. ليس لدينا ما يكفى من الوقت .. لابد أن نتحرك على الفور .

حدقت فى رجال (الموساد) ، المتناثرين فى المكان ، وهتفت :

- وماذا عن هؤلاء ؟!

سألها ، دون أن يلتفت :

- ماذا عنهم ؟!

هتفت :

- إنهم لن يبقوا هكذا حتى الغد .. سيستعيدون وعيهم حتما ، ويبلغون قائدهم بما حدث .

قال فى لا مبالاة عجيبة :

- دعيهم يفعلون .

اتسعت عيناها بدهشة أكثر ، وهى تهتف :

- لو فعلوا ، ستجد جيشا فى انتظارنا ، عندما نبلغ تلك القاعدة السرية .

التفت إليها فجأة ، وهو يقول فى حزم :

- سنجد ذلك الجيش فى كل الأحوال .. إنهم يعلمون أيتها الزميلة .. لا تنسى هذا أبدا .

رددت دون أن تدرى :

ـ يعلمون ؟!

أومأ برأسه ، قائلا :

ـ نعم .. لم يعد لدينا خيار .

ثم مال نحوها ، وأشار إلى رأسه ، مستطردًا :

ـ وجوه عارية ، وأوراق مكشوفة .

نطقها ، وعاد يستدير ، ويغادر المكان بمنتهى الحزم ..

والحسم ..

★ ★ ★

« انظر هناك .. »

هتف أحد رجال (الموساد) بالعبارة ، بكل انفعال الدنيا ، وهو يحدّق عبر نافذة سيارته ، فسأله زميله فى توتر :

ـ ماذا هناك ؟!

أشار الرجل بيده ، قائلاً فى عصبية :

ـ الرجل والمرأة ، اللذان يغادران المبنى ، الذى يضمّ مكتبنا السرى .. إنهما (أدهم صبرى) ، وزميلته ، التى قالت الأنباء إنها أنقذته من الموت فى (لارناكا) !

اتسعت عينا زميله عن آخرهما ، وهو يقول :

ـ (أدهم صبرى) ؟! مستحيل ! (أدهم صبرى) لقى مصرعه ، و ..

قاطعه الرجل فى حدة :

ـ إنه هو .. لا يمكننى أن أخطئه قط .. إنه حتى لم يحاول التخفّى ، وكأنما لا يوجد ما يعنيه .

قال زميله فى عصبية :

ـ ويهبط من حيث مكتبنا ؟! ماذا حدث بالضبط ؟!

اختطف الأوّل هاتف السيارة ، قائلا :

ـ لابد أن نعرف .

كان (أدهم) و (نادية) قد توقّفا عند سيارتهما ، وفردا خريطة كبيرة لدولة (فنزويلا) ، راحا يراجعانها فى اهتمام ، والإسرائيلى يطلب أرقام مكتبهم السرية مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ثم لم يلبث أن ألقى الهاتف ، صائحًا فى حنق :

ـ هذا ما كنت أخشاه .

سأله زميله فى توتر شديد :

ـ ماذا حدث ؟!

أجابه الإسرائيلى، وهو يستل مسدسه فى عصبية :

ـ لا أحد يجيب ، على كل هواتف المكتب ، بعد خروج (أدهم) وزميلته من المبنى ، فما الذى يعنيه هذا فى رأيك ؟!

زمجر الثانى ، وهو يستل مسدسه الآلى بدوره ، قائلا :

ـ يا للسخافة !

كان زميله يهم بفتح الباب ، عندما أمسك يده فى قوة ، هاتفا :

ـ ماذا ستفعل أيها المجنون ؟!

أجابه فى حدة :

ـ سأذهب لقتله .

هتف به :

ـ لو أن الأمر بهذه البساطة ، لما بقى على قيد الحياة حتى الآن .

صاح الأول فى حنق :

ـ هل سنتركه يمضى إذن ؟!

هز الثانى رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلا ، ولكننا لن نهاجمه بكل الوضوح والحماقة .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ـ سنتجه نحوه بالسيارة فى هدوء ، وكأننا مجرد شخصين عاديين ، فى سيارة مدنية ، وعندما نصبح إلى جواره تمامًا ..

فرقع سبابته وإبهامه ، دون أن يكمل عبارته ، فهتف الأول :

ـ أحسنت .

قالها ، وأدار محرك سيارته فى حزم ، وعيناه لا تفارقان (أدهم) و (نادية) ، اللذين انهمكا فى مراجعة تلك الخريطة الكبيرة ..

وفى حرص حذر ، دار بالسيارة ، إلى الجانب الآخر للطريق ..

ثم اتجه بها نحوهما مباشرة ..

ولو أن هذا أحد مشاهد فيلم سينمائى جيد ، لما كانت هناك موسيقى تصويرية أفضل من دوى دقات قلبى الرجلين ، وهما يقتربان بسيارتهما ، من حيث يقف (أدهم) ورفيقته ..

ويقتربان ..

ويقتربان ..

ثم فجأة ، هتف أحدهما ، بكل عصبية الدنيا :

ـ الآن .

ومع هتافه ، رفع الاثنان مسدسيهما الآليين ..

وانطلقت الرصاصات ..

كالمطر .

★ ★ ★



٤ ـ الأنثى !

تصاعد الدخان الأزرق ، في حجرة المكتب الحقيرة ، التى تمدّد على أرضيتها الزنجى (ميرفى) ، ملك الجريمة فى (نيويورك) ، وهو يدخن سيجارة قصيرة منتفخة ، ويسأل أحد حراسه الثلاثة ضخام الجسم ، بعينين نصف مغلقتين:

ـ ما حصيلة الليلة الماضية ؟!

راجع الحارس الضخم بعض الأوراق ، قبل أن يجيب بصوت خشن أجش :

ـ سبعة وثلاثون ألف دولار ، بخلاف الـ ......

بتر عبارته بغتة ، فأدار (ميرفى) عينيه إليه فى تراخ ، متسائلا :

ـ بخلاف ماذا ؟!

أشار الرجل بيده ، وهو يقول فى خفوت :

ـ تلك الحقيبة .

انعقد حاجبا (ميرفى) ، وانقلبت شفته ، على

نحو زاد من بشاعة ملامحه ، وهو يتساءل فى بلاهة :

- أية حقيبة ؟!

تنحنح الحارس الضخم فى توتر ، وتبادل نظرة مع زميليه ، قبل أن يلوّح بيده ، قائلاً :

- الحقيبة التى أحضرها مستر (ماكارثى) أمس .. احم .. إننا لا ندرى شيئا عن محتوياتها ، و .....

بتر عبارته مرة أخرى ، مع تلك النظرة الحذرة ، التى أطلت من عينى (ميرفى) ، قبل أن يهتف فجأة ، وهو يهبّ من مرقده :

- آه .. حقيبة (ماكارثى) .

قالها ، وانقضّ على الحقيبة الجلدية الأنيقة ، الموضوعة على سطح المكتب ، واحتضنها فى لهفة شديدة ، هاتفا :

- حقيبة (ماكارثى) الجميلة .. كيف نسيتها ؟!

سأله الحارس فى تردّد :

- هل نضيف محتوياتها لحصيلة الأمس ؟!

التفت إليه (ميرفى) فى شراسة ، قائلاً :

- كلا .

ثم عاد يحتضن الحقيبة ، متابعًا :

- إنها تخصنى وحدى .

تبادل الحراس الثلاثة نظرة أخرى ، قبل أن يقول حارس آخر :

- كل شىء هنا يخصك وحدك يا مستر (ميرفى) .

ارتفع حاجبا الزنجى لحظة فى دهشة ، ثم لم يلبث أن قهقه ضاحكا ، وهو يقول :

- كيف نسيت هذا أيضا ؟!

كان من الواضح أن المخدرات ، التى غرق فيها دمه ، تعزله تماما عن العالم المحيط به ، وتصنع غشاوة سخيفة على ذهنه ، تحجب عنه وضوح الرؤية ، وهو يلقى نفسه على أقرب مقعد إليه ، هاتفا :

- أنا (ميرفى) .. أنا الملك .

لم يكد هتافه يكتمل ، حتى دوى انفجار فى الخارج ، جعله يقفز من مقعده ، صائحا فى ذعر :

- ماذا يحدث هنا ؟!

اختطف رجاله مدافعهم الآلية ، واندفعوا نحو نافذة المكتب ، وهتف أحدهم بلهجة عجيبة ، تجمع ما بين الدهشة والذعر والتوتر :

ـ يا للعجب ! لن تصدق أبدًا ما يحدث هنا يا مستر (ميرفى) .

لم يكن قد نطق اسم زعيمه كاملاً بعد ، عندما دوى الانفجار الثانى ..

وفى هذه المرة ، كان داخل حجرة المكتب ..

أو بمعنى أدق ، عند بابها ..

انفجار نسف الباب ، وأطاح به ، ليرتطم بالزنجى ، ويلقيه أرضًا فى عنف ..

وبسرعة ، استدار الحراس الثلاثة إلى موقع الانفجار ..

وقبل أن تنطلق من مدفع أحدهم رصاصة واحدة ، قفز رجلان مسلحان إلى المكان ، وانطلقت رصاصاتهما فى غزارة ومهارة ، لتحصد الحراس الثلاثة فى لحظة واحدة ..

وبكل ذعر الدنيا ، صرخ (ميرفى) ، وهو يحاول الخروج من تحت الباب الثقيل :

ـ ماذا يحدث هنا ؟! أنا (ميرفى) .. أنا الملك .

هوت لكمة على فكه ، لتحطم إحدى أسنانه الأمامية ، وانقضت أخرى على مؤخرة رأسه ، الذى

دار فى عنف ، وأياد قوية تنتزعه من مكانه ، وتلقى به أرضًا فى قسوة ..

وصرخ (ميرفى) مرة أخرى :

ـ ماذا يحدث هنا ؟!

لم تكد صرخته تنطلق ، حتى وقع بصره على ساقين أنثويتين ، تدلفان إلى المكان ، وسط صفين من السيقان القوية ، لرجال يرتدون حلات أنيقة وأربطة عنق غالية الثمن ، ويحملون مدافع آلية قوية ، فى تناقض مدهش عجيب ..

وارتفعت عينا الزنجى إلى وجه صاحبة الساقين ، وهو يردد فى ذعر امتزج بدهشة بالغة :

ـ السيدة ؟!

ولكن عينيه ارتطمتا بوجه مألوف ، نفثت صاحبته دخان سيجارتها بابتسامة كبيرة ، وهى تقول فى هدوء :

ـ أنت (ميرفى) .. أليس كذلك ؟!

لم تكن تلك هى السيدة الغامضة ، التى يتناقل عالم (نيويورك) السفلى أخبارها فى رهبة ، والتى خططت ودبرت ونفذت عملية اختطاف (جيهان) ،

من مطار (جى . إف . كيه) ، والتى تسعى للسيطرة الكاملة على عملية (النيل) ..

بل كانت امرأة أخرى ، يكفى ذكر اسمها ، أو رؤية وجهها ، لبث الرعب فى قلب أى رجل من رجال الجريمة المنظمة ، فى العالم كله(*)..

امرأة ، لم يكد (ميرفى) يتعرَّفها ، حتى اتسعت عيناه عن آخرهما ، فى ذعر ودهشة بلا حدود ، وهو يهتف بصوت اختنق معظمه فى حلقه :

- دونا (كارولينا) .

أسرع أحد الرجال يجذب أفضل مقعد فى الحجرة ، ويقدِّمه لزعيمة زعماء منظمة (المافيا)(**)، التى رمقت المقعد فى ازدراء ، قائلة :

(*) الجريمة المنظمة : اسم يطلق على نوع من العصابات الإجرامية ، التى ترتكب الأعمال المخالفة للقانون ، فى إطار تنظيمى متقن ، يتشابه مع نظم واستراتيجيات الجيوش وأجهزة المخابرات . حيث يكون هناك قائد أعلى ، يليه قادة أفرع ، وقادة ألوية ، وهكذا ، ومن أشهر هذه المنظمات الإجرامية منظمة (المافيا) الإيطالية الأمريكية ، ومنظمة (الياكوزا) اليابانية .

(**) راجع قصة (دونا كارولينا) .. المغامرة رقم ٦٠

- كلا .. إننى أفضل الوقوف .

هتف (ميرفى) مذعورًا :

- دونا ، ما الذى .. أعنى لماذا هذه الزيارة ؟! لماذا هذا العنف مع رجالى .

ابتسمت دونا (كارولينا) ، وهى تهزّ كتفيها ، قائلة :

- شىء من النشاط والحيوية يا عزيزى (ميرفى).. إننى أفتقد هذا كثيرًا ، فى الآونة الأخيرة .

ردّد فى ذهول :

- النشاط والحيوية ؟!

ثم هتف ، وقد تلاشى كل أثر للمخدِّر من رأسه :

- ولكنك استخدمت القنابل يا دونا .. لن تمضى دقائق ، حتى يكون جيش من رجال شرطة (نيويورك) هنا .

اتسعت ابتسامتها ، ونفثت دخان سيجارتها فى بطء وهدوء ، قائلة :

- لا تقلق نفسك بشأن شرطة (نيويورك) .. لن يحاول أحدهم ، مجرَّد محاولة ، أن يأتى إلى هنا ، فالراتب الشهرى الضخم الذى يتقاضونه منى ، يكفى لإصابتهم بالصمم التام ، عندما أطلب منهم هذا .

اتسعت عيناه فى ذعر أكبر ، وهو يقول :
ـ ولكن لماذا ؟!
لوَّحت بيدها فى أناقة ، قائلةً :
ـ ما فعلته أمس لم يرق لى يا (ميرفى) .
قال فى دهشة:
ـ ما فعلته ؟! وما الذى فعلته ؟!
ثم هتف مذعورًا :
ـ أتعنين حقيبة (ماكارثى) ؟! إنه مجرَّد عمل يا دونا .
انعقد حاجباها ، وهى تقول :
ـ حقيبةَ من ؟!
أشار (ميرفى) إلى الحقيبة ، التى سقطت فى الركن ، وهو يقول مرتجفًا :
ـ إنها نقودى يا دونا .. نقود عمل .
التقط أحد رجالها الحقيبةَ ، ووضعها أمامها ، ثم فتحها ، فألقت نظرة على رزم الدولارات داخلها ، قبل أن ترفع أحد حاجبيها ، وتلتفت إلى (ميرفى) ، قائلةً :
ـ إنها ثروة حقيقية .

ازدرد لعابه فى صعوبة ، قائلاً :
ـ مائتا ألف دولار يا دونا .. يمكننى أن أعطيك نصـ .. أقصد ربعها .
رفعت حاجبيها ، هاتفةً :
ـ ربعها ؟! يا للسخاء !
ثم مالت نحوه ، متسائلةً :
ـ أى ثمن دفعته ، لتحصل على هذه الدولارات يا (ميرفى) ؟!
ازدرد لعابه مرة أخرى ، فى صعوبة أكثر ، وهو يغمغم :
ـ مجرَّد معلومة يا دونا .
سألته فى صرامة :
ـ معلومةَ عن ماذا ؟! ولمن ؟!
لوَّح بذراعه ، قائلاً :
ـ لقد أرشدت السيِّدة إلى أحد خصومها فحسب .
انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول :
ـ السيِّدة ؟! أتعنى تلك التى يتحدثون عنها ، فى الآونةَ الأخيرة ؟!
هتف :

ـ هى بذاتها يا (دونا) .

ازداد انعقاد حاجبيها ، وراحت تنفث دخان سيجارتها بعض الوقت ، وهى تشيح بوجهها فى صمت ، ثم عادت تلتفت إليه فى حدة ، قائلة :

ـ لست أظن الساحة تحتمل امرأتين فى آن واحد .

وعادت تميل نحوه ، مضيفة فى صرامة :

ـ الآن ستخبرنى كل ما تعرفه عن تلك السيدة الغامضة ، وكل ما تعرفه أيضًا عن المصرية ، التى تم اختطافها من المطار ظهر أمس .

شحب وجهه ، وهو يقول :

ـ المصرية ؟! وما شأنك بها ؟! لماذا تهتمين بأمرها ؟!

نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، مجيبة :

ـ واحد من أفضل أصدقائى يهتمّ بأمرها ، ولقد وعدته باستعادتها من أجله ، ولست أحب أن أضطر إلى الحنث بوعدى قط .

قالتها ، والتقطت نفسًا عميقًا من سيجارتها ، ثم مالت تغرس طرفها المشتعل فى ذراع (ميرفى) ، مستطردة :

ـ هل تفهم ؟!

صرخ (ميرفى) صرخة رهيبة ، من فرط الذعر والألم ، وراح يصيح :

ـ لا تفعلى هذا يا دونا .. خذى نصف أموال (ماكارثى) ، ولكن لا تلقى بى فى ذلك الجحيم .. أرجوك ..

اعتدلت ، قائلة :

ـ نقود (ماكارثى) ؟!

وفى هدوء ، أشعلت قداحتها ، والتقطت رزمة من دولارات (ماكارثى) ، وهى تضيف :

ـ ومن يهتمّ بنقود (ماكارثى) .

وأشعلت النار فى الدولارات ، ثم ألقتها داخل الحقيبة ، فصرخ (ميرفى) فى ارتياع :

ـ لا .. النقود .

كاد يلقى نفسه على الحقيبة ، التى اشتعلت كل الدولارات داخلها ، ولكن أحد رجال دونا (كارولينا) هوى على رأسه بضربة عنيفة ، أسقطته أرضًا ، وهو يصرخ كالمجنون :

ـ الدولارات يا دونا .. لقد أحرقت الدولارات .



واشعلت النار فى الدولارات ، ثم القتها داخل الحقيبة ، فصرخ (ميرفى) فى ارتياع ..

صاحت به :

ـ أية دولارات أيها التافه ؟! ألم تستوعب بعد ما يحدث ؟!

وبإشارة من يدها ، انتزعه أحد رجالها من مكانه ، ودفعه نحو النافذة ، التى تحطَّم زجاجها إثر الانفجار ، وهو يقول فى صرامة :

ـ انظر .

كانت النافذة تطلّ على الشارع الوحيد ، الذى يقود إلى مكتب (ميرفى) ، والذى يكتظّ عادة برجاله وحراسه المسلحين ..

ولكن ما إن ألقى الزنجى نظرة إليه ، فى ذلك الصباح ، حتى اتسعت عيناه عن آخرهما ، وسقط قلبه كالحجر بين قدميه ..

ففى الشارع ، تجمع ما بدا له وكأنه ألف رجل من رجال دونا (كارولينا) ، الذين سيطروا على الموقف تمامًا ، وجرَّدوا رجاله من أسلحتهم ، وقيَّدوهم على نحو مذل ..

وفى ذعر ، هتف :

ـ ماذا تريدين منى بالضبط يا دونا ؟!

أجابته فى صرامة :

ـ لقد سبق أن أخبرتك ، وأنا أكره تكرار أقوالى .

هتف :

ـ ولكن هذا مستحيل يا دونا .. تلك السيدة شرسة للغاية ، ولو أخبرتك ما لدى عنها ، ستقتلنى حتمًا .

هزت دونا (كارولينا) رأسها ، وأشعلت سيجارة أخرى ، وهى تقول :

ـ من الواضح أنك لم تستوعب الأمر بعد يا (ميرفى) .

وبإشارة من يدها ، استل أحد رجالها خنجرًا ، واتجه نحو الزنجى ..

ومن النافذة المكسورة ، انطلقت أعنف صرخة سمعها رجال (ميرفى) ، فى حياتهم كلها ..

صرخة رعب وألم ..

رهيبة ..

* * *

لو أنك قمت باستطلاع شامل ، من خلال كل أصدقاء وزملاء (أدهم) ، وكل من عمل إلى جواره ، أو حتى ضده ، منذ بدأ حياته العملية ، فسيجمع الكل،

دون استثناء واحد ، على أنه شخصية فذة ، يندر أن يجود الزمان بمثلها ، كل عشرة أجيال ..

ولكن أحدًا منهم ، دون استثناء واحد أيضًا ، يمكنه أن يفسر ، أو يعلل سر تلك الطاقة العجيبة ، التى تتفجر بها عروقه ، حتى فى أعمق ساعات نومه ..

ففى تلك اللحظة ، وبينما كان يراجع الخريطة الكبيرة مع (نادية) ، وسيارة رجلى (الموساد) تتجه نحوه فى تحفز ، استيقظ شىء ما فى أعماقه ..

شىء قد لا يدرى هو نفسه كنهه ..

شىء ربما حفزه أمر رآه ..

أو لمحه ..

أو حتى سمعه ..

وربما هى غريزة ..

غزيرة يمتلكها كل كائن حى ، ولكنها تنمو فى وضوح ، عند تلك الفئة من الناس ، التى اعتادت مواجهة الموت فى كل لحظة ..

غزيرة الشعور بالخطر ..

ولكن أيًا كان الدافع ، فقد أيقظ ذلك الشىء الغامض ، فى أعماق (أدهم) ..

وفى حركة سريعة ، رفع هذا الأخير رأسه ، وألقى نظرة على السيّارة التى تتجه نحوه ، والتى بدأت مرحلة الانقضاض على التو ..

ومع النظرة الأولى، استوعب عقله الموقف كله ..
وتحرّك كالبرق ..

وفى نفس اللحظة ، التى انطلقت فيها الرصاصات كالمطر ، كان هو يدفع (نادية) جانبًا ، ويخفض رأسه ، صائحًا :

- احترسى ..

أطلقت (نادية) صرخة قصيرة ، وهى تسقط أرضًا ، وامتزجت صرختها بدوى الرصاصات ، التى تعبر فوق رأسها ، وترتطم بجسم السيّارة الرياضية الصغيرة ..

وصرخ أحد الإسرائيليين فى سخط :

- لقد أفلت .

لم تكد الصرخة تتجاوز حلقه ، حتى وثب (أدهم) من مكانه ، وتجاوز سيارته الرياضية بقفزة واحدة ، لينقضّ بكل قوته على سقف سيّارة رجلى (الموساد) ومن الواضح أن حركته كانت سريعة ومباغتة ..

إلى أقصى حد ..

فقبل حتى أن يتحرّك الرجلان ، كان قد مال بجسده من فوق سقف سيّارتهما ، وضرب النافذة الخلفية اليسرى بقدميه ، فحطّم زجاجها فى عنف ، وهو يقفز داخل السيّارة ..

وفى اللحظة التالية مباشرة ، كانت قبضته اليمنى تحطّم فك أحدهما ، وهو يقول :

- المحطة الأخيرة .

ثم دارت قبضته ، لتقبض على عنق الثانى ، مستطردًا :

- بالنسبة لكما .

جحظت عينا الرجل ، وانطلقت من حلقه حشرجة مخيفة ، وهو يدير فوهة مسدسه ، محاولاً إطلاق النار على (أدهم) من الخلف ، ولكن هذا الأخير قبض على معصمه بأصابع من الفولاذ ، وهو يقول :

- هل تعتقد أن هذا أمر سهل ؟!

ضغط الرجل زناد مسدسه بحركة غريزية ، مع انغراس أصابع (أدهم) فى معصمه ، فانطلقت الرصاصات تخترق زجاج السيّارة الأمامى ، وتصيب

إشارة المرور ، فى نهاية الشارع ، فى نفس الوقت الذى اختلت فيه عجلة القيادة بغتة ، فمالت السيارة ، وانحرفت بحركة حادة ، لتعترض طريق السيارات ، القادمة من الاتجاه الآخر ..

ومع ذلك المشهد الرهيب ، هتفت (نادية) ، وهى تثب داخل السيارة الرياضية الصغيرة :

ـ يا إلهى ! لقد اشتعل الموقف بحق .

وانطلقت بالسيارة نحو (أدهم) ، وهى تضغط زر إزاحة سقفها الكهربى المتحرك ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صرير عشرات السيارات ، التى أربكها الانحراف المباغت لسيارة الإسرائيليين فى نهر الطريق ..

ثم حدث الارتطام ..

واحدة من السيارات القادمة من الاتجاه المعاكس ، ارتطمت بسيارة الإسرائيليين ، وقفزت على نحو مخيف ، قبل أن تسقط مرتطمة بالأرض فى عنف ..

أما سيارة الإسرائيليين فقد تلقت الصدمة ، ومالت على نحو مخيف ، ثم انقلبت على جانبها الأيمن ، وراحت تزحف وسط الطريق ، مع صرخات المارة

والمشاهدين ، قبل أن ترتطم بحافلة عامة ، أزاحتها مترين آخرين ، لتستقر وسط الطريق تماما ..

ومن بعيد ، ظهرت اثنتان من سيارات الشرطة ، تندفعان نحو منطقة التصادم ..

وبقلب يرتجف ، هتفت (نادية) :

ربّاه ! (أدهم) .. أتعشم ألا .....

قبل أن تتم عبارتها ، رأت (أدهم) يبرز من النافذة اليمنى المرتفعة من السيارة ، فهتفت ، وهى تلوّح له بيدها :

ـ (أدهم) .. هنا .

وانحرفت بالسيارة الرياضية ، فى سرعة بالغة ، إلى الطريق العكسى ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها بوق سيارتى الشرطة ، اللتين تتجهان نحوهما ..

وفى خفة مدهشة ، وعلى الرغم من كل ما حدث ، قفز (أدهم) من السيارة المقلوبة إلى السيارة الرياضية ، هاتفا :

ـ دعينا نبتعد عن هنا .

ضغطت دوّاسة الوقود أكثر ، وانطلقت بالسيارة كالصاروخ ..

وخلفها انطلقت سيارتا الشرطة ، وضابط إحداهما يهتف عبر اللاسلكى :

- إطلاق نيران فى الشارع الرئيسى ، وقتال داخل سيارة ، مع حادثة سير عنيفة .. نحن نطارد السيارة التى تحمل المسئولين عن كل هذا ، وهى سيارة (هيونداى) بيضاء ، بسقف متحرك ، وتتجه نحو الشارع التاسع .

استقبل جهاز الاتصال الخاص ، داخل السيارة الرياضية هتاف الضابط ، عبر موجة الشرطة ، التى تم تجهيزه لاستقبالها ، فقالت (نادية) فى توتر :

- سيطاردوننا بمنتهى العنف .

أجابها (أدهم) فى حزم :

- دعيهم يفعلون .

ثم أشار إليها ، لتتبادل مكانها معه ، وهو يضيف :

- ولكنهم لن يظفروا بنا بإذن الله .

قالت معترضة :

- ألا تروق لك قيادتى ؟!

أجابها بلهجة صارمة :

- إنها رائعة ، ولكن لدى خطة محدودة .

انعقد حاجباها فى توتر مستنكر ، ولكنها أطاعته ، وانتقلت إلى مقعده ، فى حين أمسك هو مقود السيارة فى قوة ، حتى استقرَّ فى مقعد القيادة ، وغمغم :

- والآن فليبدأ اللهو الحقيقى .

اتسعت عيناها ، وهى تحدِّق فى سيارات الشرطة الثلاث ، التى برزت فى مواجهتهما وهتفت :

- اللهو ؟!

لم تكد تتمَّ عبارتها ، حتى انحرف (أدهم) بالسيارة فى قوة ، ودار بها حول نفسها ، وإطاراتها تطلق صرخة قوية ، مع احتكاكها العنيف بالأرض ، قبل أن يرتفع صوت محركها على نحو مخيف ، وهى تثب إلى الأمام ، نحو سيارتى الشرطة ..

وانطلق ألف صرير وصرير ، وسيارة (أدهم) تنطلق كالصاروخ ، بين سيارتى الشرطة ، اللتين اختلَّ توازنهما ، ومالتا فى حدة ، لتعترضا ، دون أن تدريا ، طريق السيارات الثلاث الأخرى ، التى تندفع فى الاتجاه العكسى ..

وكان الارتطام عنيفًا للغاية ، تطايرت معه سيارتا شرطة ، واصطدمتا بثالثة ، وانقلبت إحداهما ، فى

نفس اللحظة التى انطلق بها (أدهم) بسيارته كالصاروخ ، مبتعدًا عن موقع التصادم ..

ولكن ضابط إحدى السيارات هتف ، عبر جهاز اللاسلكى :

ـ البورش تعود إلى الشارع الرئيسى .. لقد اصطدمت سياراتنا ببعضها .. من الواضح أن من نطاردهم محترفين فى هذا المجال .. حاولوا إيقافهم بأية وسيلة ..

ولم تكد كل سيارات الشرطة القريبة تلتقط الهتاف ، حتى اتجهت كلها نحو الشارع الرئيسى ، لاعتراض سبيل البورش ..

ولم تمض دقائق عشر ، حتى انتقل نداء آخر ، عبر أجهزة الشرطة ، فى المدينة كلها ..

نداء يؤكد أن الشرطة قد عثرت بالفعل على البورش البيضاء ..

ولكنها كانت خالية ..

خالية تمامًا ..

وعلى الرغم من البحث والتحرى ، وتفتيش كل ركن حولها ، لم تعثر الشرطة على أثر لراكبيها ..

أى أثر !!

★ ★ ★

« (أدهم صبرى) حى ؟! »

هتف (زيلمان) بالعبارة فى ذهول ، وهو يستمع إلى (ديلشمسكى) ، عبر الهاتف ، وانعقد لسانه بضع لحظات فى حلقه ، وهو يتابع فى عصبية :

ـ لماذا فعل المصريون هذا إذن ؟! لماذا رتبوا كل هذه الخدعة المعقدة ، لإقناعنا بأنه قد لقى مصرعه ، ما دام سيقاتل على نحو مكشوف كهذا ؟!

أجابه (ديلشمسكى) فى غضب واضح :

ـ أرادوا أن يؤمنوا وصوله إلى (كراكس) فى سلام ، دون أن نواصل مطاردته بعنف ، وقتاله الأخير فى (كوماتا) ، كان من المحتم أن يتم بوجه مكشوف ، فهو بمثابة رسالة ، يعلن بها المصريون أنهم ليسوا على علم بعمليتنا ضد قمرهم فحسب ، وإنما يعرفون موقع الإطلاق ، وربما موعده أيضًا .

انعقد حاجبا (زيلمان) فى شدة ، وهو يقول :

ـ من المستحيل أن يحصلوا على معلومات دقيقة كتلك ، بمثل هذه السرعة !

قال (ديلشمسكى) فى حدة :

- بم تفسِّر ظهور (أدهم صبرى) فى (كومانا) إذن ؟!

أجابه (زيلمان) :

- (أدهم صبرى) يعلم منك ، أن العملية سيتمّ تنفيذها اليوم ، وبفريق جيِّد من علماء الفضاء والطيران ، يمكنه تحديد الموقع المناسب لقصف (نايل سات) بصاروخ أرضى ، فى ذلك الموعد ، ولكن هذا لا يعنى معرفتهم للموقع بمنتهى الدقة .. هذا أكثر صعوبة .

قال (ديلشمسكى) فى عصبية :

- ولكن (أدهم صبرى) هنا بالفعل .

ألقى (زيلمان) نظرة على واحدة من الساعات العديدة فى حجرته ، والتى تشير إلى التوقيت فى مناطق مختلفة من العالم ، وقال :

- إنها الواحدة إلا الربع الآن فى (كومانا) ، وهذا يعنى أن أمامك خمس ساعات ، لا يعود بوسع مخلوق واحد بعدها ، أن يمنع تنفيذ العملية ، وكل ما عليك هو أن تحيط نفسك بكل الحراسة الممكنة ، طوال هذه

الفترة ، فى نفس الوقت الذى تضع فيه عشرات العراقيل أمام (أدهم صبرى) فى (كومانا) ، بحيث يفقد كل ما لديه من وقت .

واكتسى صوته بصرامة شديدة ، وهو يضيف :

- إنها مسألة وقت فحسب يا رجل ، ومن يمكنه استثماره على نحو أفضل ، سيربح هذه المعركة العلنية .

مرَّت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول (ديلشمسكى) :

- نعم .. إنها مسألة وقت .

ثم أضاف فى حزم :

- وينبغى أن نستثمر كل لحظة منه .

قال (زيلمان) فى صرامة :

- سنفعل .

ثم أنهى المحادثة ، والتقى حاجباه فى شِدَة ، وتشابكت أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يفكِّر فى عمق ، فى حين قال مساعده فى توتر :

- لقد خدعنا المصريون مرة أخرى ، بقصة مصرع رجلهم هذه .

قال (زيلمان) :

ـ لقد أحسنوا اللعبة .

وصمت لحظة ؛ ليضيف في صرامة :

ـ حتى هذه اللحظة .

ثم اعتدل ، مستطردًا في حزم :

ـ ولكن هذا لن يستمر طويلًا .

نهض مساعده ، قائلًا :

ـ بمَ تأمر يا سيدي ؟!

لوّح (زيلمان) بيده ، وهو يقول :

ـ من المؤكد أن (ديلشمسكي) سيبذل حياته نفسها ، لو اقتضى الأمر ، ليضمن نجاح عملية (النيل) ، وليس لدي أدنى شك ، في أنه قد أحاط موقع الإطلاق بكل وسائل الأمن الممكنة ، ولكن خبراتي السابقة علمتني أن مجرّد ظهور (أدهم صبري) في الصورة ، يعني أن كل ما نفعله لا قيمة له ، فذلك الثعلب يمتلك قدرة فذّة ، على اختراق كل نظم الأمن ، مهما بلغت قوتها ودقتها .

كرّر مساعده :

ـ بمَ تأمر يا سيدي ؟!

ضمّ (زيلمان) قبضته ، وهو يقول في حزم :

ـ لا بد أن نحكم قبضتنا على (أدهم صبري) هذا ، وإلا خسرنا كل شيء .

ثم التفت إلى مساعده ، مضيفًا في صرامة :

ـ أحضر الطفل .

تألّقت عينا الرجل في شراسة ، وهتف :

ـ سمعًا وطاعة يا سيدي .

ثم انطلق في حماس لتنفيذ الأمر ، تاركًا (زيلمان) خلفه ، يدير الأمر في رأسه للمرة الثانية ، وهو يغمغم :

ـ نعم .. لا بد أن نحكم قبضتنا عليه .

والواقع أن ما ينوي فعله ، كان الوسيلة التي يمكن أن يخضع لها (أدهم صبري) ..

الوسيلة الوحيدة .

★ ★ ★

٥- كيف ؟!

لاذت (نادية) بالصمت التام ، وهى تعدّ الضمادات ، داخل ذلك المنزل الآمن ، الذى استأجره أحد رجال المخابرات المصرية فى (كومانا) ، وتطلّعت فى قلق مشفق إلى (أدهم) ، الذى بدا وكأنه لا يشعر بأى شيء من حوله ، وهو يتطلّع فى اهتمام كامل ، إلى خريطة كبيرة لمدينة (كومانا) ، والغابات المحيطة بها ، على الرغم من الدماء التى تغرق قميصه ، من جروحه السابقة ، التى لم تحتمل كل هذا النشاط ، قبل مرور يوم واحد على الجراحات التى أجريت لها..

وفى هدوء حذر ، اقتربت (نادية) منه ، قائلة :

- جراحك تحتاج إلى بعض العناية .

التفت إليها فى شرود ، مغمغمًا :

- حقًا ؟!

أزاحت جزءًا من قميصه ، وهى تقول :

- اترك لى هذه المهمة .

تركها تضمّد جراحه ، وهو يراجع الخريطة الكبيرة بنفس الاهتمام ، فابتسمت قائلة :

- هل تعلم أن كل رجل شرطة فى (كومانا) يبحث عنا الآن ؟!

لم يبد أنه قد سمعها ، وهو يرسم دائرة حمراء على جزء من الخريطة ، قائلاً فى اهتمام :

- لو راجعنا كل ما لدينا من معلومات ، وبخاصة الخمس وثلاثين دقيقة ، التى تحتاج إليها الهليكوبتر ، للوصول إلى القاعدة السرية ، لوجدنا أن هذا أفضل مكان لها .

ألقت نظرة على الخريطة ، وقالت :

- هذه البقعة فى قلب الأدغال .

أجابها فى حزم :

- بالضبط ، وهذا أفضل مكان يمكننى اختياره ، لبناء قاعدة إطلاق سرية ، لا أرغب فى أن ينتبه إليها أحد .

قالت ، وهى تضمّد جراحه فى عناية :

- الوصول إليها ليس بالأمر السهل .

أشار بسبّابته ، قائلاً :

ـ وهذا سبب آخر لاختيارها .

ثم ألقى نظرة على ساعته ، مضيفاً فى قلق :

ـ إنها الثانية والنصف الآن ، وهذا يعنى أن أمامنا ثلاث ساعات ونصف الساعة فحسب ، قبل موعد الإطلاق ، ولو حذفنا من هذه الفترة الزمن الكافى للوصول إلى هناك ، والفترة التى تصبح فيها عملية الإطلاق لا رجعية ، لوجدنا أن أمامنا ساعتان وربع الساعة على الأكثر ، لتنفيذ العملية ، واختراق كل نظم الأمن ، التى تحيط بالقاعدة السرية .

سألته فى اهتمام قلق :

ـ هل تعتقد أننا نستطيع اختراقها بالفعل ؟! ما سمعناه من ذلك الرجل يجعلها تبدو منيعة للغاية .

هزّ رأسه ، قائلاً فى حزم :

ـ لا يوجد نظام أمنى منيع للغاية .

قالت فى توتر :

ـ وماذا عن الحراس ، وآلات التصوير ، وأجهزة المراقبة بالأشعة دون الحمراء ، والأسوار المكهربة ، والهليكوبتر ..

هزّ رأسه مرة أخرى ، قائلاً :

ـ كل نظام أمنى فى الدنيا يمكن اختراقه .

سألته حائرة :

ـ كيف ؟!

انعقد حاجباه فى شدّة ، وهو يقول :

ـ هذا ما أعتصر ذهنى من أجله .

ألقت نظرة على ساعتها ، مغمغمة :

ـ أرجو أن تجد ما يكفى من الوقت .

« الوقت .. »

هذه هى المشكلة رقم واحد ، فى العملية كلها .. الوقت ..

الساعات المتبقية لا تكفى أبداً لوضع خطة متقنة ، لاختراق نظام أمنى كهذا ..

نظام بذل صانعوه قصارى جهدهم ، حتى لا يتركوا فيه ثغرة واحدة ..

ولكن هذا مستحيل !

كل نظام أمنى يحوى ثغرة ما ، مهما بدا منيعاً محكماً ..

هذا أحد الدروس التى تعلمها ، من خلال عمله ..

المهم أن تجد تلك الثغرة ..

وفى الوقت المناسب ..

لم يعد يشعر بجراحه وآلامه ..

لم يعد يشعر حتى بكل ما بذله من جهد ، خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة ..

كيانه كله كان مجندًا للبحث عن جواب سؤال واحد ..

كيف يمكن أن يخترق ذلك النظام المحكم ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

« لا بد وأن نصل إلى الهليكوبتر ، التى ستنقلنا إلى الأدغال » ..

قاطعت عبارة (نادية) أفكاره بغتة ، فالتفت إليها فى بطء ، قائلاً :

ـ هل طلبت إعدادها ؟!

أجابته مشيرة بيدها :

ـ كان ينبغى أن أفعل ، فرجالنا لن يعثروا على هليكوبتر بسهولة ، كما أن الوصول إلى منطقة الصراع لا يحتاج إلى خمس وثلاثين دقيقة فحسب ، وإنما على الهليكوبتر أن نبحث عن موقع مناسب

للهبوط أيضًا ، وهذا قد يستغرق ضعف الوقت ، ففى الأدغال ، ليس كل مسار يصلح لطائرة هليكوبتر ، و ......

برقت عيناه فجأة ، وأمسك يدها ، قائلاً :

ـ ماذا قلت ؟!

انتفض جسدها ، وهى تقول :

ـ هل أخطأت ؟!

أجابها فى حماس :

ـ مطلقًا ، ولكنك أشرت إلى أمر مهم للغاية .

سألته فى حيرة :

ـ أى أمر ؟!

لوّح بيده ، قائلاً :

ـ محدودية مسار الهليكوبتر وسط الأدغال .. هذا أمر صحيح تمامًا ، فمع ضخامة مروحتها ، ستكون مضطرة لاتخاذ مسارات محدودة للغاية .

سألته فى حيرة أكثر :

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟!

أشار بسبّابته ، والتمعت عيناه أكثر وأكثر ، وهو يجيب :

- الثغرة .

لم تفهم ما يعنيه بقوله هذا ..

ولكن من المؤكد أنها أدركت أن شيئا ما سيحدث ..

هذا لأن عينى (أدهم) قد التمعتا بظفر عجيب ..

ظفر يعنى أنه قد وجد جواب السؤال ..

كيف ؟!

* * *

فجأة ، انتفضت (جيهان) ..

وفجأة أيضا ، استعادت وعيها ..

كانت ترقد على ذلك الفراش ، الذى تحويه الحجرة منذ البداية ، وأمامها تلك النافذة الزجاجية شبه المعتمة ، وإلى جوارها استقر المقعد المتحرك ، الذى أتت به من (القاهرة) ..

وكان هناك صداع عنيف يكتنف رأسها ..

وألم فى كتفها اليسرى ..

وبحركة آلية ، رفعت يدها ، تتحسس كتفها ، وهى تغمغم :

- ترى ماذا فعل بى هؤلاء الأوغاد ؟!

تحسست أصابعها جرحا صغيرا ، تجمدت حوله الدماء ، فتمتمت محنقة :

- إنهم لم يحاولوا حتى مداواته .

كان رأسها يدور فى شدة ، فتركت جسدها يسترخى على فراشها ، وهى تطرح على نفسها عشرات الأسئلة ..

ترى من تلك السيدة الغامضة ، التى تدير كل هذا الأمر ؟!

أهى واحدة من المرأتين ، اللتين تصارعتا ذات يوم ، فى قلب (سيبيريا) (*) ..

أهى (سونيا) ؟!

أم (كلوديا) ؟!

أم أنها وافدة جديدة ، فى هذا العالم الغامض العنيف ؟!

وفى كل الأحوال ، يبقى السؤال الأساسى ..

لماذا اختطفتها ؟!

ما الذى تريده منها ؟!

(*) راجع قصة (وجه الأفعى) .. المغامرة رقم ١٢١

ما أهميتها بالنسبة إليها بالضبط ؟!

وعلى الرغم من كل هذا السيل من الأسئلة ، لم يحصل عقلها على جواب شاف واحد ..

كل شيء بدا لها غامضًا ، عجيبًا ، مشوّهًا ..

كل شيء ..

وفجأة ، وبينما انشغل عقلها في البحث عن الأجوبة ، التقطت أذناها فجأة دوى رصاصات ، يتردّد من بعيد ..

وشحذ هذا الدوى مشاعرها كلها دفعة واحدة ، فأرهفت سمعها ، وحاولت كشف وتحليل ما يحدث في الخارج..

هناك قتال ما ..

قتال يدور بن مجموعتين مسلحتين ..

وهناك وقع أقدام ، لرجال يعدون فى كل مكان ..

وبعضهم يتّجه إليها ..

إلى حجرتها ..

أو زنزانتها ..

إنه شخص واحد يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم فجأة ، اقتحم رجل ضخم المكان ..

كان العرق يغمر وجهه ، وأنفاسه تتلاحق بشدة ، وهو يمسك مدفعه الآلى فى توتر بالغ ، تشف عنه كل خلجة من خلجاته ، وهو يلهث ، هاتفًا :

ـ إنها محاولة لإنقاذك أيتها المصرية .

قالت فى دهشة :

ـ حقًا ؟!

أجاب فى عصبية :

ـ وأوامر السيّدة صريحة ، فى هذا الشأن.

ثم أدار فوهة مدفعه نحوها ، صائحًا فى شراسة :

ـ لن يأخذوك حيّة .

انتفض جسد (جيهان) فى عنف ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تحدّق فى الفوهة القاتلة ، و .....

ودوت الرصاصات ..

وانتفض جسدها فى عنف أشد ..

ثم اتسعت عيناها أكثر وأكثر ..

فكل ما دوى من رصاصات ، اخترق ظهر ذلك الرجل ، الذى كان يصوّب إليها مدفعه ، فتفجّرت



فكل ما دوى من رصاصات ، اخترق ظهر ذلك الرجل ، الذى كان يصوّب إليها مدفعه .

الدماء من صدره وبطنه ، وجحظت عيناه ، وسال الدم من بين شفتيه ، قبل أن يهوى جثّة هامدة ..

واندفع رجلان آخران إلى الحجرة ، حاملين مدفعيهما ، اللذين يتصاعد الدخان بكثافة من فوهتيهما ..

وحدّقت (جيهان) فى القادمين بدهشة أكبر ..

فعلى الرغم من عنف أتالهما وقوتهما كان كل منهما يرتدى حلة أنيقة ، ورباط عنق زاه ، ويبدو حليقًا مصفّف الشعر ، كما لو كان فى طريقه إلى سهرة فاخرة ، وليس إلى حرب عصابات شرسة..

وبقفزة واحدة ، عبر بها جثة الرجل الصريع ، اتجه إليها أحد الأنيقين ، وسألها فى اهتمام بالغ :

ـ أأنت بخير ؟!

غمغمت مبهورة :

ـ بالتأكيد .

تعاون الرجلان فى عناية ، لينقلاها إلى مقعدها المتحرّك ، وانتبهت هى إلى أن دوى الرصاصات قد توقّف ، فسألتهما فى توتّر:

ـ من أنتما ؟!

أجابها أحدهما ، وهو يدفع مقعدها أمامه :
- صديقان .
كان من الواضح أنهما لا يميلان إلى كثرة الحديث، لذا فقد لاذت بالصمت بدورها ، وهما يدفعان مقعدها أمامهما ، وسط حشد من القتلى ، والأسلحة المتناثرة فى كل مكان ، حتى بلغا ساحة واسعة ، استقرَّ فى منتصفها عدد من السيارات الفاخرة ، اتجه الرجلان نحو أكثرها فخامة ، ثم توقفا ..
ولثوان ، حدَّقت (جيهان) فى السيارة المغلقة ، التى بدت لها ، بزجاجها الداكن وفخامتها الزائدة ، أشبه بصورة مجسَّمة للغموض ، و...
وانفتح الزجاج الكهربى لنافذة السيارة الخلفية فجأة ، وظهرت من خلفه دونا (كارولينا) ، وهى تنفث دخان سيجارتها ، وتتطلع إليها فى اهتمام بالغ ، قبل أن تقول :
- عجبًا ! كنت أتوقَّع وجهًا آخر .
قالت (جيهان) فى عصبية :
- فليكن .. هل ستأمرين رجالك بإعادتى ؟!
ضحكت دونا (كارولينا) ، وهى تقول :

- ليس إلى هذا الحد .
ثم نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، قبل أن تضيف :
- ولكن عندما اتصل بى (أدهم) ، وطلب منى استعادتك ، وبدا شديد الاهتمام بأمرك ، تصوَّرت أنك ......
قاطعتها (جيهان) فى توتر :
- (منى) .. أليس كذلك ؟!
هزَّت دونا (كارولينا) كتفيها ، قائلة :
- بلى .
ارتجفت شفتا (جيهان) ، وهى تبذل جهدًا خرافيًا ، للسيطرة على انفعالاتها ، قائلة بصوت متماسك ، بقدر ما أمكنها :
- إذن فقد أبدى (أدهم) اهتمامًا بأمرى .
أومأت دونا برأسها إيجابًا ، ثم لم تلبث أن ابتسمت فى خبث ، قائلة :
- ومن الواضح أن هذا يسعدك .
هتفت (جيهان) ، دون أن تدرى :
- بالتأكيد .

ولم تكد تنطقها ، حتى استولى عليها الخجل ، فاستدركت فى ارتباك :

ـ إنه زميل عزيز .

قفزت ضحكة إلى عينى (كارولينا) ، وهى تكرر :

ـ زميل عزيز .

ثم لم تلبث ضحكتها أن انطلقت من بين شفتيها ، وهى تكمل:

ـ حقًا ؟!

انعقد حاجبا (جيهان) فى ضيق ، فأشارت (كارولينا) إلى رجالها ، قائلة:

ـ هيا .. لقد انفضّ الحفل ، والسيّدة الغامضة ليست هنا .. سنعود إلى المنزل .

سألتها (جيهان) فى لهفة :

ـ من تلك السيّدة الغامضة ؟!

ابتسمت دونا (كارولينا) ، وهى تجيب :

ـ ليس الآن يا عزيزتى.. سنعود أولا إلى المنزل ، وهناك سيكون لدى كل منا ما يكفى من الوقت ، لنلقى كل ما نشاء من أسئلة .

قالتها ، وعاد زجاج النافذة الداكن يرتفع ويرتفع ، معلنا انتهاء المقابلة ..

مؤقتًا ..

* * *

التقى حاجبا (دينشمسكى) فى غضب هادر ، وهو يهتف :

ـ ماذا تعنون بأن (أدهم صبرى) قد اختفى ؟! إنه لم يغادر (كومانا) حتمًا ، فقد حاصرنا كل مداخلها ومخارجها ، ونقوم الآن بحصر كل المنازل ، التى يقيم فيها غرباء ، ولا بد أن يتمّ العثور عليه بأى ثمن .. هل تفهمون ؟! بأى ثمن .

وأنهى المحادثة فى عنف ، وهو يرفع عينيه إلى (دوناهيو) ، قائلاً فى عصبية :

ـ هؤلاء الأغبياء سيفسدون كل شىء .

حاول (دوناهيو) أن يبتسم ، وهو يقول :

ـ ليس إلى هذا الحد يا سيّدى .. ما زلنا نسيطر على الموقف ، والعد التنازلى يسير على ما يرام ، حتى هذه اللحظة .

أشار (ديلشمسكى) بيده ، قائلاً :

- لا يمكنك أن تضمن شيئاً ، ما دام (أدهم صبرى) هذا على قيد الحياة ، وعلى مسافة كيلو مترات قليلة منا .

تنهّد (دوناهيو) ، وهزّ كتفيه ، قائلاً :

- لست أدرى كيف يمكنه أن يصل إلى هنا يا سيّدى .. إننا نحيط القاعدة بقدر مدهش من الأمن والحراسة ، حتى لتبدو لى أشبه بحصن حصين ، والساعة الآن الثالثة والربع ، أى أنه بعد ساعتين وربع الساعة على الأكثر ، لن يعود باستطاعة أى شخص أن يمنع نجاح المهمة ، مهما فعل .

قال (ديلشمسكى) ، فى توتر :

- ساعتان وربع الساعة هو زمن هائل ، بالنسبة لعالم كعالمنا يا رجل ، فكلنا نعلم أن الدنيا كلها قد تنقلب رأساً على عقب ، خلال دقائق معدودة .

هزّ (دوناهيو) كتفيه مرة أخرى ، وهو يقول :

- ربما ، ولكن كل شىء محكم للغاية منذ البداية .. حتى (كلارا) وجدت صعوبة بالغة ، عندما جاءت إلى هنا ، و ...

قاطعه (ديلشمسكى) فى حدة :

- (كلارا) أتت إلى هنا ؟!

أجابه (دوناهيو) :

- نعم يا أدون (ديلشمسكى) ، ولقد ذكرت هذا فى التقرير ، الذى أعطيتك إياه فور وصولك .

نهض (ديلشمسكى) من مقعده ، وهو يكرّر فى توتّر بالغ :

- (كلارا) كانت هنا ؟!

وتلفّت حوله فى عصبية ، وكأنما يتأكّد من أن كل شىء فى موضعه ، قبل أن يسأل فى حدة :

- لماذا جاءت ؟!

أجابه (دوناهيو) ، وقد انتقلت إليه عدوى التوتر :

- كانت لديها قصة سخيفة ؛ فقد أتت لتخبرنا أن (أدهم صبرى) قد دسّ أنفه فى الأمر .

قال (ديلشمسكى) فى حدة :

- فقط ؟!

هزّ (دوناهيو) كتفيه للمرة الثالثة ، قائلاً فى توتر :

- فقط يا سيّدى .

ثم أضاف فى سرعة :

- ولكننى رفضت بقاءها ، وأصررت على أن تعود أدراجها على الفور .

انعقد حاجبا (ديلشمسكى) أكثر وأكثر ، وعاد يتلفت حوله فى توتر زائد ، قبل أن يتوقف بصره بغتة عند وجه (دوناهيو) ، قبل أن يسأله فى حدة صارمة :

- بمَ أغرتك ؟!

امتقع وجه (دوناهيو) ، وهو يهتف :

- سيدى .. إننى ..

قاطعه (ديلشمسكى) بصيحة هادرة :

- بمَ أغرتك ؟!

صاح (دوناهيو) :

- أقسم إننى لم ألمسها .. كل ما فعلته هو أن تناولت معها كأسًا من الشراب فحسب ، و ....

قاطعه (ديلشمسكى) :

- أى شراب ؟! وأين تناولتماه ؟!

انتفض جسد (دوناهيو) ، وهو يهتف :

- الشراب الخاص بى يا سيدى ، ولقد تناولناه حيث كانت تجلس ....

سأله فى حدة :

- أين ؟!

ارتجفت الكلمات على شفتى (دوناهيو) ، وهو يجيب :

- فى حجرة القيادة .

تراجع (ديلشمسكى) كالمصعوق ، وهو يحدق فيه ، هاتفًا :

- حجرة القيادة ؟! كيف سمحت لها بدخول حجرة القيادة ؟! كيف تركتها وحدها هناك.

هتف (دوناهيو) :

- لم تكن وحدها .

ثم استدرك بصوت خافت :

- سوى دقيقة واحدة .

بدا صوت وملامح (ديلشمسكى) مخيفين ، وهو يقول :

- إنها تكفى .

قلب (دوناهيو) كفيه ، وحاول أن يقول شيئًا.. أى شىء ..

ولكن (ديلشمسكى) كان غاضبًا إلى حد مخيف ، وهو يتلفت حوله ، مستطردًا :

- لقد فعلت شيئًا ما .. أكاد أقسم إنها قد فعلت شيئًا ما .

همهم (دوناهيو) بكلمة غير مفهومة ، فاستدار إليه (ديلشمسكى) كالعاصفة ، هاتفًا :

- لو أنها فعلت أى شىء .. أى شىء .. ستدفع الثمن غاليًا .. هل تفهم يا (دوناهيو) ؟!

امتقع وجه الإسرائيلى فى شدة ، وهو يتمتم :

- نعم .. أفهم يا أدون (ديلشمسكى) .. أفهم .

لوَّح (ديلشمسكى) بذراعه كلها ، قائلاً فى صرامة :

- أريد مراجعة كل شىء فى حجرة القيادة .

سأله الرجل فى دهشة :

- ولكن العد التنازلى يسير على ما يُرام بالفعل ، ولو أنه هناك خطأ واحد ، لكشفه البرنامج على الفور .

هتف به (ديلشمسكى) :

- ابحثوا إذن عن أجهزة تنصُّت دقيقة .. قنابل زمنية صغيرة .. أى شىء .. أى شىء .

اندفع (دوناهيو) لتنفيذ الأمر ، وهو يهتف :

- سمعًا وطاعة يا أدون (ديلشمسكى) .

ومرة أخرى ، تلفت (ديلشمسكى) حوله ، فى توتر بالغ ، وهو يقول :

- لقد فعلت شيئًا ..

نطقها بصوت حمل كل القلق ..

والخوف ..

منتهى الخوف ..

★ ★ ★

هبَّتْ (كلارا فلورانس) من مقعدها ، داخل منزل كبير من منازل (كوماتا) ، وهى تهتف عبر الهاتف فى حنق:

- ماذا تقول ؟! ماذا تعنى بأنهم قد استعادوا المصريين ؟! عمن تتحدَّث ؟! وكيف تم هذا ؟!

كان المتحدِّث يشرح لها عبر الهاتف ، ما فعلته (كارولينا) بوكرها الرئيسى فى (نيويورك) ، فاستمعت هى إليه فى غضب شديد ، احتقن معه وجهها ، فتضاعف توردها على نحو مثير ، قبل أن تهتف فى حدة :

- وكيف أمكنهم استعادتها حية ؟! لقد كانت أوامرى واضحة فى هذا الشأن .

وصمتت لحظات أخرى ، تستمع خلالها إلى محدثها فى اهتمام غاضب ، قبل أن تقول بمنتهى الصرامة :

- فليكن .. لقد تدخلت دونا (كارولينا) فيما لا يعنيها ، وستنال حتمًا ما لا يرضيها .

ثم أنهت المحادثة فى عنف ، وأشعلت سيجارتها ، وراحت تنفث دخانها فى عصبية شديدة ، قبل أن تضغط زرًا ، وتهتف عبر جهاز اتصال داخلى :

- أين (ويليامز) ؟!

أتاها صوت يجيب :

- فى معمله يا سيدتى .

صرخت:

- أريده هنا .. الآن .

وضغطت زر إنهاء الاتصال ، قبل حتى أن تسمع الجواب ، وراحت تسير فى حجرتها بغضب وعصبية شديدين ، وهى تنفث دخان سيجارتها كبركان يهمّ بالانفجار ، حتى سمعت دقات حذرة على باب حجرتها ، فهتفت فى حدة :

- ادخل .

ولم يكد بصرها يقع على وجه العالم الشاب ، حتى اختفى غضبها بغتة ، خلف قناع من الأنوثة الناعمة ، مع ابتسامة كبيرة ، وهى تشير إليه بيدها ، قائلة :

- تفضّل يا عزيزى (ويليامز) .. كيف يسير عملك ؟!

عدّل (ويليامز) منظاره فوق عينيه ، قائلاً :

- على ما يُرام يا سيدتى .. لقد أوشكت على الانتهاء من تعديل البرنامج الرئيسى .

عادت عصبيتها إلى الظهور ، وهى تسأله :

- كم أمامك من وقت ؟!

أجاب فى هدوء :

- سينتهى البرنامج بعد ساعة واحدة على الأكثر ، وسنحتاج إلى ساعة أخرى لاختباره ، و ....

قاطعته فى حدة :

- لا اختبارات .

قال فى دهشة :

- ماذا تقولين يا سيدتى ؟!

استعادت طبيعتها الشرسة تلك اللهجة الصارمة الآمرة ، وهى تقول :

ـ ما سمعته بالضبط يا (ويليامز) .. لا اختبارات .. لا وقت لدينا لاختبار أى شىء .. الأفضل أن تثق بنتائج عملك ، فسنضع تعديلاتك موضع التنفيذ على الفور .

قال فى توتر :

ـ ولكن هذا .

قاطعته فى غضب :

ـ لقد سمعتنى يا (ويليامز) .

كانت شراستها المباغتة تربكه ، فغمغم فى توتر :

ـ فليكن .. ولكننى أعتقد أن الوقت أمامنا .

قاطعته فى صرامة :

ـ لم يعد أمامنا أى وقت .

ازدرد لعابه فى صعوبة ، مغمغمًا فى ضيق :

ـ فليكن يا سيِّدتى .. هذا شأنك .

ارتفع رنين هاتفها الخاص فى تلك اللحظة ، فأشارت إليه بيدها ، وهى تندفع لالتقاط الهاتف ، صائحة :

ـ هيَا .. اذهب لإكمال عملك .. هيَا .

غادر الحجرة محنقًا ، متسائلاً عما أصابها ، فى

حين التقطت هى سمَاعة الهاتف ، وهى تقول فى توتر :

ـ (كلارا) .. من المتحدِّث ؟!

أجابها صوت متوتر ، يقول :

ـ سيِّدة (كلارا) .. لقد كنت على حق .. بعضهم سعى بالفعل لاستئجار طائرة هليكوبتر ، فى رحلة إلى الأدغال .

سألته فى انفعال :

ـ وما جنسية المستأجر ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ لا أحد يعلم ، فهو يدَّعى أنه مصوِّر علمى أمريكى ، يسعى لعمل فيلم تسجيلى عن أدغال (فنزويلا) ، ولكن صاحب الهليكوبتر يقول :

ـ إن لهجته ليست أمريكية على الإطلاق .

قالت فى توتر :

ـ بالطبع .. (أدهم) لن يذهب لاستئجار الهليكوبتر بنفسه .

ثم سألت الرجل فى صرامة :

ـ هل تعرف موضع تلك الهليكوبتر ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ بالطبـع .

قالت بكل الحزم والصرامة :

ـ انسفها .

كرَّر الرجل فى دهشة :

ـ أنسفها ؟!

أجابته فى صرامة :

ـ نعم .. انسفها الآن .

مضت لحظة من الصمت ، وكأنما يحاول الرجل استيعاب الموقف ، قبل أن يتساءل فى حذر :

ـ هل أنتظر حتى يستقلوها ؟!

كان يتوقَّع ردًا بالإيجاب ، لذا فقد أدهشه أن قالت فى صرامة :

ـ كلاَّ .. هذا قد يفسد كل شىء .. لست أريد مواجهات مباشرة الآن .. انسفها فحسب .

أجاب الرجل :

ـ سمعًا وطاعة يا سيِّدتى .

أنهت المحادثة فى عنف ، لم يكن له ما يبرِّره ، وهى تقول لنفسها :

ـ لن يفسد (أدهم صبرى) عملها هذه المرة .

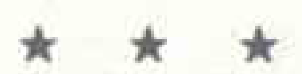
ثم انعقد حاجباها فى شدَّة ، مستطردة :

ـ مهما كان الثمن .

نطقتها بمنتهى الغضب ..

والعنف ..

والشراسة .





٦- انفجار ..

بدت عينا (منى) منتفختين متورمتين ، من شدة البكاء ، على الرغم من محاولتها للتماسك ، أمام مدير المخابرات العامة ، الذى استقبلها فى مكتبه ، وتطلع إليها لحظة فى صمت ، قبل أن يشير إليها بالجلوس ، قائلاً :

ـ من الواضح أنك قاسيت كثيرًا ، خلال الساعات الماضية يا (منى) .

قالت فى توتر ، لم تستطع إخفاءه :

ـ هذا أمر طبيعى .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ، وهو يقول :

ـ (أدهم) أرسل برقية ، من (أمريكا الجنوبية) .

اتسعت عيناها عن آخرهما ، وشعرت بقلبها يثب فى صدرها ، وهى تصرخ :

ـ (أدهم) .. (أدهم) حىّ .

ثم انفجرت باكية ، وراحت دموعها تنهمر كالسيل ، حتى إن المدير ومساعده قد شعرا بالشفقة عليها ، فاتجها نحوها ، والأول يقول :

ـ فلنحمد الله (سبحانه وتعالى) على هذا .

هتفت بكل سعادة الدنيا :

ـ كنت أعلم هذا .. كنت أعلم أنه حى .

ربّت المدير على كتفها ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ ليس حيًّا فحسب ، وإنما يكيل ضرباته القاسية للاسرائيليين كالمعتاد يا (منى) ، ويسعى لإحباط واحدة من أخطر مؤامراتهم ضدنا ..

وأضاف المساعد :

ـ مؤامرة لنسف قمرنا الصناعى .

اتسعت عيناها مرة أخرى ، وهى تهتف :

ـ يا إلهى !

ربّت المدير على كتفها مرة أخرى ، وهو يسألها :

ـ هل تشعرين بالارتياح الآن ؟!

هتفت فى سرعة :

ـ نعم .

ثم استدركت :

ـ ولا .

وأمسكت يد المدير ، متسائلة بأنفاس لاهثة :

ـ إنه يواجه الخطر هناك .. أليس كذلك ؟!

أومأ برأسه ، مجيبًا :

ـ كل عملنا يواجه الخطر .

ثم عاد يجلس خلف مكتبه ، متابعًا :

ـ وفى هذه المرة ، يصرّ (أدهم) على أن يواجه الإسرائيليين بوجه عار وأوراق مكشوفة ، على حد قوله ، مؤكدًا أن هذا يخدم خطته ..

قالت فى ثقة وحماس :

ـ ما دام يقول هذا ، فهو على حق .

رفع مدير المخابرات عينيه إلى واحدة من الساعات العديدة فى حجرته ، قائلاً :

ـ نتعشّم هذا يا (منى) ، فهى الثالثة والنصف الآن ، بتوقيت (كومانا) الفنزويلية ، ولقد بدأ (أدهم) فى تنفيذ مهمته الآن ، وأمامه ساعتان فحسب ، فإما أن ينجح خلالهما فى اختراق نظام أمنى شديد التعقيد، فى قلب الأدغال ، وفى إبطال عمل صاروخ عابر للقارات ، قبل أن ينطلق نحو قمرنا (نايل سات) ، أو نخسر كل شىء .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ حتى (أدهم) نفسه .

واتسعت عينا (منى) للمرة الثالثة فى ذلك المساء ..

وهوى قلبها مرة أخرى بين قدميها ..

بمنتهى العنف ..

* * *

« ها هى ذى » ..

أشار الرجل التابع لـ (كلارا فلورانس) إلى الهليكوبتر ، التى دارت مروحتها ، استعدادًا للإقلاع ، فور وصول مستأجريها ، وهو ينطق كلماته ، التى استقبلها رفيقه ، وهما يختفيان وسط بعض الأشجار ، فحمل هذا الأخير مدفعه على كتفه ، وهو يتساءل :

ـ هل ننسفها الآن ، أم ننتظر حتى ..

قاطعه فى توتر :

ـ بل الآن .. السيدة قالت : لا انتظار .

ابتسم الرجل ، وتألّقت عيناه فى جذل ، يوحى بأنه يستمتع بكل ثانية ، وهو يقول بلهجة متشفية مسبقًا :

ـ عظيم .

وفى سرعة ومهارة ، راح يحشو مدفعه بقذيفة قوية، ثم صوّبه إلى الهليكوبتر ، مغمغمًا بنفس الجذل :

- فلتبدأ الألعاب النارية .

كانت سبابته تهمّ بضغط الزناد ، عندما ارتفع بغتة صوت صارم ، يقول :

- توقّف .

استدار الرجلان فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ووقع بصرهما على اثنين من رجال الشرطة الفنزويلية ، يصوبان إليهما مسدسيهما ، وأحدهما يهتف فى دهشة :

- ربّاه ! عندما تلقينا البلاغ ، لم أتصوّر أن هذا أمر يمكن حدوثه بالفعل .. إنكما تحاولان نسف الهليكوبتر !!

هتف به الرجل الأوّل :

- بلاغ ؟! ومن أبلغكما بهذا الأمر .

صاح به أحد الشرطيين فى حدة ، وهو يلوّح بمسدسه فى وجهه :

- لا شأن لك بمن أبلغنا يا هذا .. إنكما تستخدمان سلاحًا يحظر حمله ، دون تصريح مسبق ، وتعتزمان نسف هليكوبتر غير مملوكة لكما ، وهذا يضعكما تحت طائلة القانون .

قال الرجل فى حدة :

- من قال لك : إننا لا نحمل تصريحًا بكل هذا .

ثم دسّ يده فى جيبه ، مستطردًا :

- ها هو ذا التصريح .

كانت مبادرة فى غير موعدها بالتأكيد ، فما إن دسّ يده فى جيبه ، حتى صرخ أحد الشرطيين :

- إياك أن تفعلها .

وضغط زناد مسدسه مرتين ، فى نفس اللحظة التى انتزع فيها الرجل مسدسه ، وأدار فوهته نحو زميله..

واخترقت الرصاصتان جسد الرجل ، فى نفس اللحظة التى ضغط فيها زناد مسدسه ، لتنطلق رصاصة فى رأس الشرطى الثانى ..

وبمنتهى السرعة والعنف ، تحرّك الرجل الثانى ، فأدار فوهة مدفعه ، وضرب بها رأس الشرطى ، صارخًا :

- أنتما أردتما هذا .

أصاب المدفع الثقيل جبهة الشرطى ، وأطاح به بعيدًا ، ليسقط على جثة زميله ، فى حين بلغت أصوات الصراع تلك المنطقة ، التى توقّفت عندها

الهليكوبتر ، فسرى فيها توتر ملحوظ ، أدركه حامل المدفع على الفور ، عندما استدار إليها ، فصرخ بكل قوته وغضبه وتوتره :

- الموت للجميع .

وضغط زناد المدفع ..

وانطلق الصاروخ ..

وأصاب الهدف بدقة مدهشة ..

وفى دائرة نصف قطرها كيلو متر كامل ، دوى الانفجار بمنتهى الوضوح ..

والعنف ..

* * *

«كل شىء يسير على ما يُرام ..»

نطق (أدهم) العبارة فى هدوء ، وهو يعدّ مدفعه الآلى ، داخل الهليكوبتر ، التى استأجرها بعض رجال المخابرات المصرية من (كراكس) ، والتى يقودها الطيَّار المصرى نفسه ، الذى هبط بالطائرة الخاصة (يو - ٧٠٦) ، وسط العاصفة ، والذى ابتسم ، قائلاً :

- عملكم ممتع للغاية يا رجال المخابرات .. لن يمكننى أن أنسى كيف هبطنا فى (كراكس) ، وسط عاصفة هوجاء ، لنجد واحدة من سياراتكم فى انتظارنا ، حتى تحملنا بعيدًا ، تاركين وراءنا لغزًا ، قد لا يتوصَّل بوليس (فنزويلا) لحله أبدًا .

ابتسم (أدهم) بدوره ، وهو يقول :

- كان هبوطًا بارعًا للغاية كما أخبرونى .. من الواضح أنك طيَّار بارع .

أشار الطيَّار بيده ، قائلاً :

- من الواضح أنك أيضًا رجل مخابرات بارع ، وخبيث كالثعلب ، فدفع أحد رجالكم إلى استئجار هليكوبتر أخرى ، كان مناورة عبقرية ، جذبت أنظار الجميع إلى الهليكوبتر الأخرى ، فى حين كنت أنا أنتظركما عند حدود المدينة .

ضحكت (نادية) ، قائلة :

- وماذا لو علمت كيف نجحنا فى الوصول إليك ، على الرغم من إغلاق كل المداخل والمخارج ، وبحث الجميع هنا عنا ؟!

سألها الطيَّار فى فضول :

ـ كيف ؟!

ضحكت مرة أخرى ، قائلة :

ـ لقد أجرى اتصالاً بجهاز الشرطة ، وأخبرهم أننا سنسعى لنسف طائرة هليكوبتر ، وهى نفس الطائرة التى استأجرها رجلنا .. وعندما اشتبك رجال الشرطة مع من حاولوا نسفها ، ودوى انفجارها بالفعل ، تخلى كل رجال الشرطة فى المنطقة عن مواقعهم ، وهرعوا لإلقاء القبض علينا ، مما منحنا الفرصة لنغادر المدينة فى هدوء .

هتف الطيَّار مبهورًا :

ـ خطة عبقرية وبسيطة إلى حد مدهش .

ثم تساءل فى حيرة :

ـ ولكن كيف علمت أن بعضهم سيسعى لنسف الهليكوبتر الأخرى ؟!

أشار (أدهم) بيده ، قائلاً :

ـ يمكنك أن تقول : إننى قادر على قراءة عقول المجرمين ، ومعرفة أساليب تفكيرهم .

ثم اعتدل فى مجلسه ، مستطردًا فى حزم :

ـ ولكن دعونا من كل هذا الآن ، ولنراجع خطتنا معًا.

هتف الطيَّار :

ـ ربَّاه ! هل تريد منى أن أعيد كل شىء على مسامعك للمرة السابعة ؟!

سأله (أدهم) :

ـ هل راجعت الخرائط ، وحدَّدت الموقع المطلوب؟!

أجابه الطيَّار:

ـ نعم .. راجعتها ثلاث مرَّات على الأقل ، ولن أخطئ الموقع .. اطمئن .. ولكن تلك المنطقة وعرة للغاية كما تعلم .

غمغم (أدهم) :

ـ أعلم يا رجل .. أعلم .

ثم استدار إلى (نادية) ، يسألها :

ـ أأنت واثقة من قدرتك على القيام بدورك فى المهمة ؟!

أجابته فى حزم :

ـ اطمئن .

تنهَّد فى توتر ملحوظ ، وهو يغمغم :

ـ على بركة اللَّه (سبحانه وتعالى) إذن .

وألقى نظرة على ساعة يده ، التى أشارت عقاربها إلى الرابعة إلا الربع بالضبط ..

وكان هذا يعنى أنه لم يعد أمامه سوى ساعتين فحسب ، لبلوغ الهدف وتدميره ..

أو لخسارة العملية كلها ..

وضياع القمر المصرى ..

إلى الأبد ..

★ ★ ★

ألقت دونا (كارولينا) نظرة طويلة على (جيهان) ، وهى تناولها كأسًا من الشراب ، قائلة بلهجة أنثوية واضحة :

- إذن فأنت من يهتمّ (أدهم صبرى) بأمرك ، فى هذه الأيام .

رفضت (جيهان) التقاط الكأس ، بإشارة من يدها ، وهى تقول فى توتر :

- (أدهم) مجرَّد زميل .

قالت (كارولينا) فى خبث :

- مجرَّد زميل ؟! أهذا شعورك الحقيقى نحوه ؟!

ازدردت (جيهان) لعابها فى صعوبة ، وهى تقول :

- المهم شعوره هو نحوى .

ابتسمت دونا (كارولينا) فى سخرية ، قائلة :

- شعوره هو ؟! إنك لم تستمعى إلى صوته ولهجته ، وهو يطلب منى بذل كل جهد ممكن لاستعادتك .. لقد طالبنى برعايتك ، والعناية بك ، والحرص على أن تتم كل إجراءات علاجك فى مؤسسته ، تحت رعايتنا وحراستنا .

ثم مالت نحوها ، مستطردة :

- أليس هذا هو شعوره نحوك ؟!

ازدردت (جيهان) لعابها فى مرارة هذه المرة ، وهى تغمغم :

- ينبغى أن أشكره على كرمه الزائد هذا .

تطلّعت إليها (كارولينا) لحظة ، ثم تراجعت ، وارتشفت رشفة من كأسها ، وهى تغمغم :

- مع (أدهم) كل شىء زائد .

ثم لوَّحت بيدها ، مضيفة فى هيام ، لم تحاول إخفاءه :

- باختصار ، إنه الرجل الذى تحلم به كل امرأة .

وارتشفت رشفة أخرى ، قبل أن تضيف :

- منذ الأزل .

ورمقت (جيهان) بنظرة جانبية ، قائلة فى خبث :

- هل تشعرين بالغيرة ؟!

أجابتها (جيهان) فى سرعة ، ودون مواربة :

- بالطبع .

ثم زفرت فى مرارة ، وخفضت عينيها ، متابعة :

- ولكن فى حالتى هذه ، لم يعد لى الحق فى مجردَ التفكير فى أمر كهذا .

انعقد حاجبا (كارولينا) ، وهى تقول :

- حالتك هذه ؟!

ثم أزاحت كأسها جانبًا ، ونهضت قائلة فى حزم :

- حالتك هذه لن تستمر إلى الأبد يا عزيزتى .. (أدهم) طلب منى تدبير كل ما يلزم ، لإجراء تلك الجراحة الجديدة لك ، وزرع شريحة الكمبيوتر فى جهازك العصبى ، وأنا أعدك الآن بأن أنفذ ما طلبه بمنتهى الدقة ، وسأضيف إليه استعدادى التام لبذل كل جهد إضافى ممكن ، لإبعادك عن هذا المقعد السخيف إلى الأبد .

قالتها ، ثم ابتسمت فى حنان ، مضيفة :

- وعندئذ ، فلينتخب (أدهم صبرى) من تحلو له .

حاولت (جيهان) أن تبتسم ، وهى تغمغم :

- لقد فعل .

وتنهَّدت من أعمق أعماق قلبها ، متابعة :

- المهم أن يبقى ، ليحظى بمن يحب ..

نعم يا (جيهان) .. أنت على حق ..

المهم أن يبقى ..

على قيد الحياة ..

★ ★ ★

« وصلنا إلى الهدف .. »

ألقى الطيَّار عبارته فى حزم ، وهو يحلِّق فوق الموقع ، الذى اختاره (أدهم) ، فاعتدل هذا الأخير فى حزم ، والتفت إلى (نادية) ، قائلاً :

- الساعة الآن الرابعة والربع ، وطبقًا لحساباتنا ، ينبغى أن نكون داخل مجالهم الجوى الآن .. هل تعلمان ما عليكما فعله ؟!

أومأت (نادية) برأسها إيجابًا ، وهى تزدرد لعابها فى توتر ، فى حين قال الطيَّار بلهجة حازمة واثقة :

- اطمئن.. سيسير كل شىء كما خطَّطت له تمامًا .

علَّق (أدهم) مدفعه الآلى على كتفه.، وثبت حقيبته الصغيرة خلف ظهره ، وهو يفتح باب الهليكوبتر ، قائلاً :

- حاولا الالتزام بالتوقيت ، وتفادى أية أخطاء صغيرة ، فلا توجد فرصة لتكرار المحاولة .

قال الطيَّار :

- سأنخفض إلى أقل ارتفاع ممكن ، ولكننا سنظلّ بعيدين عن الأرض بمسافة كبيرة .

قال (أدهم) فى حسم :

- المهم أن تقترب من قمم الأشجار .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت صارم ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى ، يقول بالأسبانية :

- إلى الهليكوبتر ، التى تحلِّق فى المنطقة (س و - ١٠) .. أنت داخل مجال جوى خاص ومحظور .. أعلن هويتك ، وغادر المنطقة فورًا ، وإلا فسنطلق صواريخنا الدفاعية دون هوادة .

انخفض الطيَّار بالهليكوبتر بقدر استطاعته ، وهو يغمغم :

- ها قد بدأ اللهو .

ومع غمغمته ، وثب (أدهم) ..

وثب من الهليكوبتر ، من ارتفاع عشرين مترًا عن الأرض ، نحو قمم الأشجار الكثيفة..

وشهقت (نادية) مع قفزته ، هاتفة :

- احرسه يا إلهى !

تمتم الطيَّار ، وهو يضغط زر الاتصال :

- اطمئنى .. إنه محترف حقيقى .

لم تسمع عبارته ، وهى تحدِّق فى (أدهم) ، الذى هوى جسده من هذا الارتفاع لستة أمتار كاملة ، قبل أن يرتطم بقمة إحدى الأشجار، ويتعلَّق بها بكل قوته، فى نفس اللحظة التى قال فيها الطيَّار ، بلغة إسبانية سليمة :

- هنا الهليكوبتر الخاصة بمؤسسة علوم الطبيعة.. ليست لدينا أية تعليمات ، بخصوص مجالات جوية محظورة ، والمفترض أن ...

قاطعه صاحب الصوت الصارم :

- نكرِّر .. أنت داخل مجال جوى محظور .. هذا هو التحذير الأخير .. سنطلق الصواريخ خلال عشر ثوان ..

ابتسم الطيَّار فى سخرية ، وهو يدور بالهليكوبتر ، قائلاً :

- فليكن .. سنبعد عن منطقتكم ، ولكننا سنبلغ إدارة شئون البيئة عما حدث .

هتف به صاحب الصوت الصارم :

- اذهب إلى الجحيم .

أنهى الطيَّار الاتصال ، وهو يقول فى سخرية :

- من يدرى ؟! ربما كان الجحيم نفسه فى طريقه إليك أيها الوغد .

قالت (نادية) فى توتر :

- إنك تجيد الأسبانية بطلاقة .

ابتسم ، قائلاً :

- كان أبى سفيرًا لـ (مصر) فى (مدريد) ، طوال عشر سنوات كاملة ، قضيت فيها فترة دراستى الابتدائية والإعدادية ، وجزء من دراستى الثانوية أيضًا .

ثم ضحك ، وهو يدور بالهليكوبتر دورة واسعة ، مستطردًا :

- وربما كان هذا أحد أسباب اختيارى للمهمة .

غمغمت :

- إنهم يجيدون الاختيار بمنتهى الدقة .

هزَّ كتفيه ، قائلاً :

- هذا واضح .

ثم عاد ينخفض بالهليكوبتر ، قائلاً فى جدية :

- والآن .. ألنت مستعدة لبدء دورك .

ازدردت لعابها ، وحملت أدواتها على ظهرها ، مغمغمة :

- بالتأكيد .

نطقتها ، وكل ذرة فى كيانها تتساءل ..

ترى هل يمكن أن تنجح المهمة ، تحت كل هذه الظروف ؟!

هل ؟!

★ ★ ★

وثب (أدهم) من الهليكوبتر فى جرأة مدهشة ، على الرغم من الكثافة الشديدة للأشجار فى تلك المنطقة من الأدغال ..

وبسرعة الجاذبية الأرضية ، هوى جسده نحو تلك الأشجار الكثيفة ، وعيناه ترصدان كل شىء بمنتهى الدقة ..



وثب (أدهم) من الهليكوبتر فى جراة مدهشة ، على الرغم من الكثافة الشديدة للأشجار ..

وفى اللحظة المناسبة تمامًا ، اندفعت يداه تلتقطان أحد الأغصان السميكة ..

وتوقَّف جسده بغتةً ..

وتمزَّقت إحدى خيوط جرح ذراعه اليسرى ..

وتفجَّرت الدماء مرةً أخرى ..

ولكنْ (أدهم) لم يبال ..

لقد قبض كل عضلاته ، ودفع جسده فوق ذلك الغصن القوى ، واستقرَّ جالسًا فوقه ، محتميًا ببعض الأوراق الكثيفة ، وراقب الهليكوبتر وهى تبتعد ، ثم التقط منظاره المقرِّب ، مغمغمًا :

ـ أتعشَّم أن يؤديا دورهما بنجاح .

ووضع المنظار على عينيه ، وراح يفحص المنطقة المحيطةَ به ، فى دقةٍ كاملة ..

كل شىء كان يبدو طبيعيًّا ..

الأشجار الكثيفة ..

الهدوء البالغ ..

لا شىء يشفَّ عن أو يوحى بوجود قاعدة سريَّة ..

باستثناء تلك الهليكوبتر ..

كانت تبدو فى وضوح، على مسافة كيلومتر واحد،

وهى تحلق فى مسار شبه دائرى ، على ارتفاع منخفض، متفادية بقدر الإمكان كل الأغصان البارزة..

ولخمس دقائق كاملة ، ظلّ (أدهم) يراقب الهليكوبتر فى مسارها المنتظم ، قبل أن يخفض منظاره ، ويغمغم فى سخرية :

ـ لم تكن هناك وسيلة أفضل ، لتحديد الموقع ؛ فمن الواضح أن الهليكوبتر تتولى حماية المكان ، بالدوران حوله طوال الوقت ، ومع تحديد مسارها ودراسته ، يمكن استنباط موضع القاعدة .

وعاد يرفع المنظار المقرّب إلى عينيه ، وهو يفحص المنطقة المحتملة ، قبل أن يبتسم فى ارتياح غامر ، مغمغمًا :

ـ عظيم .

فعلى الرغم من الأشجار الكثيفة المتشابكة ، ومن الهدوء المحيط بالمكان كله ، لمحت عيناه المدربتان تلك الشبكة من الأسلاك ، التى تمتدّ من قمة شجرة إلى أخرى ..

وكانت هذه علامة تؤكّد الموقع ..

وفى خفة ، أعاد (أدهم) المنظار إلى حقيبته ، ثم راح يهبط من أعلى الشجرة ، حتى بلغ الدغل ، وهناك تلفّت حوله فى حذر ، قبل أن يتخذ طريقه نحو الهدف ..

كانت عقارب ساعته تشير إلى الرابعة والنصف وخمس دقائق ، وهذا يعنى أن عليه أن يقطع كيلومترًا كاملاً من الأدغال المتشابكة ، خلال ربع ساعة على الأكثر ، وهو ما قد يعجز عنه الإنسان العادى ، على أرض نصف ممهّدة(*) ..

لذا فقد تحرّك بأسرع ما يمكنه ..

ومن حقيبته ، التقط خنجرًا طويلاً، أشبه بالسيف ، راح يقطع به كل ما يعترضه من أغصان وعقبات ، وعقله يعيد دراسة الموقف مرة أخيرة ، قبل المواجهة المباشرة ..

الموقع الذى يستهدفه محاط بوسائل أمن شديدة التعقيد بالفعل ..

سور مكهرب ، بارتفاع ثلاثة أمتار ..

(*) سرعة الإنسان العادى، على الأرض الممهّدة ، هو ستة كيلومترات فى الساعة الواحدة .

آلات تصوير فى كل مكان ..
وستة من الحراس الأقوياء ..
أجهزة مراقبة بالأشعة دون الحمراء ..
وكل هذا يحتاج إلى معجزة لاختراقه ..
وحتى لو تم تجاوز كل نظم الأمن ، يتبقَّى نظام الإطلاق نفسه ..
إنه نظام محكم، يتميَّز به الصاروخ (سكاى آى) ..
إنه يلتقط الهدف ، قبل ساعة كاملة من الإطلاق ، ويحدِّد موقعه ، ويصنع له ، فى ذاكرته الإليكترونية ، صورة ثلاثية الأبعاد ..
ثم يعمل على تخزين نسخة كاملة من نظام الإطلاق والتوجيه ، خلال نصف الساعة الأخيرة ، من العد التنازلى ..
وعندئذ لا يعود لأى شخص ، أو أى نظام ، قدر من السيطرة عليه ..
إنه يواصل وحده العد التنازلى ، حتى ولو توقَّفت كل الأجهزة الرئيسية ..
ويواصل أيضًا رصد الهدف ..

حتى تحين ساعة الصفر ..
وعندئذ ينطلق ..
بلا عودة ..
إنه أحد الصواريخ العابرة للقارات ، أنتجته (الولايات المتحدة الأمريكية) أخيرًا ..
والمدهش أنه ، وعلى الرغم من إمكانياته الهائلة ، وقدراته التدميرية المدهشة ، لا يزيد طوله على ثلاثة أمتار ، وقطره عن نصف متر فحسب ..
لذا فمن السهل إخفاؤه ..
وإطلاقه بغتة ..
كما أن صغر حجمه ، يجعل مهمة الصواريخ الاعتراضية لإسقاطه عسيرة للغاية ، حتى إن أكثر المتفائلين لم يزد احتماله فى هذا على سبعة فى المائة ..
وهذا يعنى أنه لا مناص من التعامل المباشر معه..
لو أن هناك ما يكفى من الوقت لهذا ..
أو لو نجح أى مخلوق فى الاقتراب منه لمسافة كافية ..
فى ظل كل هذه الأمور ..

كان الأمر يبدو له أكثر صعوبة ، وهو يشقّ طريقه وسط الأدغال ، و ...

وفجأة ، انتبه إلى أمر ما ..

إلى الهدوء الشديد المحيط به ..

هدوء أكثر مما ينبغى ، بالنسبة لدغل يموج بالحيوانات والزواحف والحشرات ..

فكل تلك الأشياء تصنع الكثير من الأصوات طوال الوقت ..

أزيز ..

حفيف ..

فحيح ..

إلا إذا ..

إلا إذا كانت تشعر بالخوف ..

وهى لن تشعر بهذا ، إلا لو كان هناك من يتحرّك حولها ، أو ...

فجأة ، قاطع أفكاره صوت يد تجذب إبرة مدفع آلى من خلفه ..

وبسرعة البرق ، استدار (أدهم) إلى مصدر الصوت ..

وانعقد حاجباه فى شدّة ..

فعلى مسافة عشرة أمتار منه ، كان يقف اثنان من طاقم حراسة القاعدة السريّة ، بجسديهما الضخمين ، وهما يصوبان إليه مدفعين آليين قويين ، يطلّ من فوهتيهما الخطر ..

أو الموت ..

بنفسه ..





٧ ـ السيطرة ..

هبطت (نادية) فى خفة ، على سلَم الحبال ، المتدلى من الهليكوبتر ، ولم تكد تستقر على الأرض حتى جذبت السلَم فى قوة مرتين ، فارتفع الطيَار بالهليكوبتر ، وهو يستعيد سلمه ، وراح يبتعد عن المنطقة كلها ..

أما هى ، فقد راحت تلهث فى انفعال ، وكأنما بذلت جهدًا مضنيًا للهبوط ..

لم تكن المرة الأولى ، التى تواجه فيها موقفًا كهذا ..

صحيح أنها أول مرة ، يبلغ فيها الخطر هذا الحد ، إلا أنها قضت سنوات طويلة فى (إسرائيل) ، ضمن القوات الخاصة هناك[*].

ولكنها أول مرة تشعر فيها بحتمية أن تنتصر ..

من أجل وطنها الحقيقى ..

(*) راجع قصة (الأصابع الذهبية) .. المغامرة رقم (١٢٢).

من أجل (مصر) ..

ومن الطبيعى أن يملأ هذا كيانها كله بالانفعال ..

وأن يدفعها لبذل كل جهد ..

وكل قطرة دم ..

فى سبيل النصر ..

وفى سرعة ، راحت تعدّ كل ما يلزمها للمعركة ..

كانت خارج دائرة الأمن ، التى أقامها الإسرائيليون حول قاعدتهم السرية ..

ولكنها تدرك أهمية وخطورة دورها ..

ثم إنها أكثر من يمتلك الخبرة اللازمة ، فى فهم وإدراك ردود أفعال رجال الأمن الإسرائيليين ..

لقد كان هذا جزءًا من عملها ، فى قلب (إسرائيل) ..

أن تدرس طبيعتهم ..

وأساليبهم ..

وردود أفعالهم ..

ولقد حان الوقت ، لتحوّل خبرتها هذه إلى واقع عملى ..

وعنيف ..

ومرة أخرى ، سرى ذلك التوتر فى عروقها ، وهى تلقى نظرة على ساعة يدها ، التى أشارت عقاربها إلى الخامسة إلا الربع ..

خمس عشرة دقيقة إذن ، على ساعة الصفر ..

على لحظة الهجوم ..

وازدرت لعابها فى صعوبة ، قبل أن تواصل عملها ، وهى تدرك أن لكل دقيقة ثمنها ..

بل لكل ثانية ..

* * *

من المؤكد أن (أدهم صبرى) ، كأى إنسان سوى ، يبغض القتل والعنف والتدمير ، ما لم يكن مضطرًا لهذا ..

ومن العجيب أنه ، وعلى الرغم من حياته الحافلة، لم يفقد مشاعره هذه قط ..

إنه لا يقتل أو يريق الدماء ..

إلا مضطرًا ..

وفى تلك اللحظة ، فى أعماق أدغال (فنزويلا) ، وبينما كانت الدقائق تمضى فى سرعة ، وتتقدم نحو

نقطة الصفر ، التى سيتحدد فيها مصير أول قمر صناعى مصرى ، كان عليه أن يتخذ قرارًا فى هذا الشأن ..

لقد استدار ليواجه اثنين من رجال الحراسة الإسرائيليين ، يصوبان إليه مدفعيهما الآليين ، فى تحفز تام ، وأحدهما يرفع جهاز الاتصال اللاسلكى ، ليبلغ عن وجوده ..

ولم يكن من الممكن أن يضيع ثانية واحدة ..

أو حتى جزءًا من الثانية ..

لذا ، فلم تكد استدارته تكتمل ، حتى تحرك بسرعة مدهشة ، فدرس الموقف ، واتخذ القرار ، و .....

ووضعه موضع التنفيذ ..

وبكل قوته ، ألقى الخنجر الطويل ، الذى يستخدمه لقطع الأغصان ، نحو الإسرائيلى ، الذى يهم بإبلاغ القاعدة ، ثم وثب نحو الآخر ، قبل حتى أن يرى ما فعله خنجره فى الأول ..

وفى نفس اللحظة ، التى اخترق فيها الخنجر الطويل صور الإسرائيلى الأول ، واندفع ليبرز من ظهره وعلى الرغم من الأمتار العشرة ، التى

تفصله عن الرجلين ، كان (أدهم) يمسك معصم الإسرائيلى الثانى ، ويهوى بقبضته على فكه كالقنبلة .. وبمنتهى العنف ، سقط الإسرائيلى الثانى ، وهو يحاول التشبث بمدفعه ، أو إطلاقه نحو خصمه ..

ولكن قبضة (أدهم) هوت على فكه مرة ثانية ..

وثالثة .

ورابعة .

ولم يكن من الممكن أن يحتمل الرجل ..

أى رجل ، هذه القنابل الأربع ، دون أن يفقد وعيه ..

وفى سرعة ، جرد (أدهم) الرجلين من أجهزة الاتصال اللاسلكية ، وألقى مدفعيهما بعيدًا ، وهو يغمغم:

ـ تبًا لهذه الحياة ، وكل ما تحمله من عنف وقسوة .

لم يكن لديه الوقت حتى للأسف على ما حدث ، لذا فقد عاد ينتزع خنجره الطويل من صدر الإسرائيلى ، مغمغمًا :

ـ أنت أجبرتنى على هذا .

ثم انطلق يشق طريقه مرة أخرى وسط الأدغال ..

وفى هذه المرة ، كان يعتمد على مرشد واحد ..

أذنيه ..

فبكل الاهتمام، راح يرصد هدير مروحة الهليكوبتر، التى تواصل حومها ، فى دائرة شبه منتظمة ؛ لرصد أية تغيرات أو اعتداءات ممكنة ..

وفى سرعة مخيفة ، راح الوقت يمضى ..

ويمضى ..

ويمضى ..

الخامسة إلا عشر دقائق ..

تسع ..

ثمان ..

سبع ..

وها هى ذى هليكوبتر الإسرائيليين تعبر فوق رأسه بالضبط .. وهذا يعنى أنه قد بلغ البقعة المنشودة ..

وفى سرعة، راح يتسلق أعلى شجرة فى المنطقة ، متجاهلا الآلام العنيفة ، التى سرت فى ساقه وعنقه وكتفه وذراعه ، وتلك الدماء الساخنة ، التى راحت تتفجر من مواضع إصاباته ، وتغمر ثيابه ..

لم يكن لديه وقت للاهتمام بما أصابه ..

أو حتى للشعور به ..

إنه مجرَّد شخص واحد ..
مهما بلغت أهميّته ..
المهم هو (مصر) ..
(مصر) وحدها ..
والوقت يمضى أسرع مما ينبغى ..
إنها الآن الخامسة إلا أربع دقائق ..
ثلاث ..
اثنتان ..
وهذا يعنى أن القتال سيبدأ بعد دقيقتين فحسب ..
ولا بد أن يكون فى موقعه ، عندما يبدأ هذا ..
وإلا ..
بلغ قمة الشجرة فى تلك اللحظة ، فتوقَّفت أفكاره كلها ، وراح يراقب هليكوبتر الإسرائيليين ، وهى تكمل دورتها ، ثم تتجه نحو موقعه . دون أن يلمحه قائدها ، وهو يختفى وسط الأغصان الكثيفة ..
الخامسة إلا دقيقة واحدة ..
والهليكوبتر تقترب ..
وتقترب ..
وتقترب ..

الخامسة إلا عشر ثوان ..
تسع ..
ثمان ..
سبع ..
ست ..
وانعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ..
وتحفَّزت كل عضلة فى جسده ..
ثم انطلق صاروخ صغير فى الهواء ، على مسافة كيلومترين من الهليكوبتر ، فارتفع حاجبا قائدها الإسرائيلى ، وهو يهتف فى عصبية :
ـ ما هذا بالضبط ؟!
وفى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، وثب (أدهم) من موقعه ..
بكل قوته ..

* * *

انعقد حاجبا (يارون ديلشمسكى) فى قوة ، وهو يتطلَّع إلى (دوناهيو) فى غضب ، قائلاً :
ـ ماذا تعنى بأن كل شىء على ما يرام ؟! هل

تقصد أن (كلارا) قد أتت إلى هنا ، دون أن تفعل شيئًا ، أو تسعى لفرض سيطرتها على الموقف كله ، إذا ما لزم الأمر ؟! لا يا رجل .. لن يمكنك إقناعى بهذا أبدا ، فأنا أعرف تلك الأفعى جيدا ، وأعرف أنها لا تقدم على أية خطوة دون مبررات قوية .

قلب (دوناهيو) كفيه ، وزفر فى توتر ، قائلاً :

ـ ولكننا لم نعثر على أى شىء بالفعل يا أدون (ديلشمسكى) .. إنها لم تغادر حجرة القيادة لحظة واحدة ، ولقد فتشنا كل سنتيمتر من الحجرة ، ولم نجد أجهزة تنصت ، أو شوشرة ، أو حتى قنابل زمنية محدودة !! ربما جاءت لتفعل شيئًا ، ولكنها لم تجد الوقت لهذا .

هتف (ديلشمسكى) فى عصبية :

ـ ما كانت لتنصرف ، لو أنها لم تحظ بما تسعى إليه .

قال (دوناهيو) فى توتر :

ـ ولكن هذا ما حدث .

ثم زفر مرة أخرى ، مستطردًا :

ـ ولكن الواقع أنك شديد التوتر والعصبية يا أدون (ديلشمسكى) .

انعقد حاجبا رجل المخابرات الإسرائيلى ، وهو يقول :

ـ هذا أمر طبيعى يا رجل .. إننا فى الدقائق الأخيرة لعملية طويلة للغاية ، استهلكت الكثير من الوقت والمال ، وتستهدف رمزًا من رموز التطور العربى ، وكل شىء يوحى بأنه هناك ضربة قادمة ..

قال (دوناهيو) فى حيرة :

ـ على العكس أيها القائد !! كل شىء يوحى بأن الأمور تسير على ما يرام .

قال (ديلشمسكى) فى حدة :

ـ حقًا ؟! وماذا عن زيارة (كلارا) الغامضة ؟! وتلك الهليكوبتر ، التى ادعت انتماءها لمؤسسة علوم البيئة .

قال (دوناهيو) ، محاولاً تهدئته :

ـ علوم الطبيعة يا سيدى .. مؤسسة علوم الطبيعة ، ولقد أجرينا اتصالاً بتلك المؤسسة ، وأكد لنا المسئول هناك أن إحدى طائراتهم الهليكوبتر فى مهمة إلى الأدغال بالفعل .

لوّح (ديلشمسكى) بذراعه ، قائلاً :

- كل المسئولين يمكن شراؤهم .. سلنى عن ذلك .

زفر (دوناهيو) للمرة الثالثة ، وهو يقول :

- إننا نتخذ كل الاحتياطات على أية حال .

مطّ (ديلشمسكى) شفتيه ، وكأنما لا يشعر بالرضا ، على الرغم من كل هذا ، ثم لم يلبث أن التفت إلى (دوناهيو) ، قائلاً :

- بمناسبة الاحتباطات .. متى وصلتك آخر تقارير من طاقم الحراسة ؟!

أجابه (دوناهيو) فى سرعة :

- منذ ربع الساعة فحسب أيها القائد ، طبقًا لأوامرك ..

لوّح رجل (الموساد) بذراعه ، قائلاً فى عصبية :

- أجر اتصالك بهم جميعًا ، وتأكّد من أن كل شىء على ما يرام ، ثم أخبرهم بأن يتم اتصالهم بنا كل خمس دقائق ، حتى يتمّ الإطلاق فعليًا .

رفع (دوناهيو) جهاز الاتصال إلى شفتيه ، قائلاً :

- كما تأمر أيها القائد .

مطّ (ديلشمسكى) شفتيه مرة أخرى ، وراح يراجع العد التنازلى المستمر ، وشاشة الرادار ، التى

لم تنقل سوى طائرته الهليكوبتر ، التى تواصل دورتها التفقدية فى انتظام ، وتوقّف بضع لحظات ، حتى يطمئن إلى أن برنامج الإطلاق يسير على ما يرام ، و ....

« سيّدى .. »

نطق (دوناهيو) الكلمة بصوت بالغ التوتر والاضطراب ، حتى إن (ديلشمسكى) التفت إليه فى حدة ، هاتفًا :

- ماذا هناك ؟!

أجابه (دوناهيو) ، بنفس الاضطراب المتوتر :

- اثنان من رجالنا لا يستجيبان للنداء .

اتسعت عينا (ديلشمسكى) ، وهو يهتف :

- ماذا ؟!

ثم دق سطح مكتبه بقبضته فى غضب ، صائحًا :

- كنت أعلم هذا ..

ولم تكد العبارة تغادر شفتيه ، حتى أطلقت (نادية) ذلك الصاروخ الصغير ، الذى ارتفع فى السماء ، على نحو جعل عينا (ديلشمسكى) تتسعان مرة أخرى ، وهو يهتف :

ـ هجوم .

لم يكن الصاروخ مصوبًا إلى القاعدة السرية بكل تأكيد ؛ لأن (نادية) لم تكن تعلم موقعها بالتحديد ، لذا فقد ارتفع لعشرات الأمتار ، ثم عاد يهوى وسط الأدغال ، حيث انفجر فى عنف ، على مسافة ثلاثمائة متر من القاعدة ..

ومع الانفجار ، وطبقًا لما كان يحويه من مادة ، اشتعلت النيران فجأة فى الأدغال ..

وانعقد حاجبا (ديلشمسكى) فى شدة ، وهو يهتف :

ـ النيران ! آه .. إنهم يسعون لإفساد مفعول أجهزة الكشف الحرارى .

هتف (دوناهيو) :

ـ ماذا نفعل أيها القائد ؟! ماذا نفعل ؟!

استعاد ذهن (ديلشمسكى) ؛ فى لحظة واحدة ، كل ما تعلمه وخبره ، خلال سنوات عمله فى (الموساد) ، وهتف بلهجة قائد محترف :

ـ إنه (أدهم) .. إنه يسعى لتشتيت انتباهنا .. مر الرجال بإطلاق النيران بلا توقف ، وأعد توزيعهم على الموقع ، لسد الثغرة التى صنعها فقدنا للحارسين

اللذين لم يستجيبا للنداء ، وتأكد من وصول التيار الكهربى الرئيسى والاحتياطى للأسوار ، وارفع زاوية الرؤية ، بالنسبة لكل آلات المراقبة ..

هتف (دوناهيو) :

ـ سمعًا وطاعة يا سيدى .

صاح به (ديلشمسكى) :

ـ هيا .. نفذ الأمر على الفور .

ثم قفز هو إلى أجهزته ، وهو يستطرد محدثًا نفسه :

ـ كل صواريخ الدفاع الجوى سيتم استنفارها على الفور .. لن أسمح بفشل هذه العملية قط .

كان (دوناهيو) يعدو لتنفيذ الأوامر ، عندما التقط (ديلشمسكى) بوق جهاز الاتصال اللاسلكى المحدود ، هاتفًا :

ـ من القاعدة إلى الهليكوبتر .. افحص المنطقة ، التى انطلق منها ذلك الصاروخ ، وانسفها فورًا بلا رحمة .. هل تفهم ؟!

أتاه صوت يقول :

ـ أفهم أيها القائد .

وفى نفس اللحظة ، أطلقت (نادية) صاروخًا ثانيًا ، وهى تغمغم :

ـ لقد أحسن (أدهم) اختيار الموقع بالتأكيد ، فمن هذه الزاوية ، تهب الرياح فى وجوههم ..

كانت النقطة ، التى أشارت إليها ، بالغة الأهمية إلى حد كبير ..

فلأن الرياح تهبّ فى وجوههم، فقد دفعت النيران ، التى أشعلها الصاروخان ، الأوَل والثانى ، نحو رجال الحراسة الإسرائيليين ، الذين راحوا يطلقون نيران مدافعهم فى عنف ، وهم يتراجعون فى سرعة ..

وفى الموقع ، راح (ديلشمسكى) يقفز من مكان إلى آخر ، وهو يهتف فى حنق :

ـ ذلك العد التنازلى السخيف .. لماذا لا يختصر الوقت ؟! لماذا لا يطلق الصاروخ الآن ..

حانت منه التفاتة ، وهو ينطق عبارته ، إلى شاشة الرادار ، التى تحركَت عليها نقطة مضيئة ، تحدِّد موقع طائرته الهليكوبتر ..

وانعقد حاجباه فى شدة ..

صحيح أنه أمر قائدها بتفقُّد موقع إطلاق الصواريخ ، إلا أن هذا لا يعنى اتجاهه إلى موقع القاعدة ، فى طريقه إلى هناك ..

كان ينبغى أن يكمل دورته المدروسة ..

كل الأوامر تحتِّم عدم شغل سماء القاعدة لحظة واحدة ، مهما كانت الأسباب ، حتى تنتهى عملية الإطلاق ..

وبكل الغضب ، ضغط (ديلشمسكى) زر جهاز الاتصال الخارجى ، هاتفًا :

ـ ماذا تفعل أيها الطيَّار ؟! إلى أين تتجه ؟!

أجابه صوت أفسدته شوشرة جهاز الاتصال :

ـ إلى حيث موقع إطلاق تلك الصواريخ أيها القائد .

صاح (ديلشمسكى) :

ـ ولكنك ستعبر سماء القاعدة مباشرة .

أجابه الصوت فى هدوء :

ـ هذا يختصر الوقت كثيرًا .

انعقد حاجبا (ديلشمسكى) فى شدة ، وعيناه تتابعان حركة النقطة المضيئة ، فى طريقها إلى

القاعدة ، ثم صرخ فجأة ، وأصابعه تقفز إلى أزرار إطلاق صواريخ الدفاع الجوى :

ـ إنه هو .

وبسرعة مدهشة ، ضغط أزرار التوجيه ، لواحد من صواريخه الدفاعية ، فى اتجاه الهليكوبتر مباشرة ، ثم صرخ مرة أخرى ، بكل غضب وانفعال الدنيا :

ـ إنه هو .

وضغط زر الإطلاق ..

وانطلق الصاروخ ..

نحو الهليكوبتر مباشرة ..

* * *

تهللت أسارير عالم الصواريخ الشاب (ويليامز) ، وهو يشير بيده أمام (كلارا فلورانس) ، قائلا فى حماس :

ـ ليس لدى أدنى شك ، فى أن التعديل ، الذى أجريته على البرنامج ، سيتيح لك السيطرة الكاملة على الموقف يا سيدتى .

تألقت عيناها ، وهى تسأله :

ـ وهل يمكننا البدء بتنفيذه الآن ؟!

أشار بيديه ، مجيبا :

ـ فى أية لحظة تشائين .

تألقت عيناها أكثر ، وهى تقول :

ـ عظيم .. إنك تستحق مكافأة سخية .

بدا سعيدًا كمراهق صغير ، وهو يهتف :

ـ مكافأتى هى سعادتك يا سيدتى .

رفعت أحد حاجبيها ، قائلة :

ـ حقًا ؟!

كان يهمّ بقول شىء ما ، عندما ارتفع رنين هاتفها الخاص بغتة ، فالتقطته فى سرعة ولهفة ، قائلة :

ـ (كلارا) .. من المتحدث ؟!

انعقد حاجباها فى شدة ، على نحو أزعج الطبيب الشاب ، وهى تقول :

ـ ماذا ؟! ومتى حدث هذا ؟!

كان محدثها ينقل إليها صورة لما يحدث ، حول القاعدة السرية ، بشكل يوحى بأنه يحتل موقعًا ، يمكنه منه رؤية الصورة كاملة ، فازداد انعقاد حاجبيها بمنتهى الشدة ، وهى تهتف :

ـ هذا ما كنت أتوقَّعه .

ثم أنهت المحادثة فى حدة ، واستدارت إلى العالم الشاب ، قائلة فى شراسة :

ـ أين البرنامج ؟!

ناولها أسطوانة مدمجة صغيرة ، وهو يقول فى دهشة متوترة :

ـ ها هو ذا .. يمكنك ربطه بالبرنامج الآخر ، من خلال الأقمار الصناعية ، و ....

اختطفت الأسطوانة من يده فى حدة ، هاتفة :

ـ لا تعلمنى ما ينبغى فعله .

ثم اندفعت نحو الجدار المقابل ، وهى تصرخ فيه :

ـ أغرب عن وجهى .. أسرع .

تراجع العالم الشاب كالمصعوق ، وهو يردِّد :

ـ سيِّدتى .. ماذا تقولين ؟!

صرخت مرة أخرى ، وهى تضغط زرًا فى الجدار :

ـ قلت : أغرب عن وجهى .

اتسعت عيناه فى ذهول تام ، عندما انزاح جزء من الجدار فى بطء ، كاشفًا عن تحفة تكنولوجية على أى مستوى ..

جهاز توجيه كامل ، من أحدث الطرز العسكرية ، التى تندرج تحت بند السرية المطلقة ..

وشهق العالم الشاب ، وهو يهتف :

ـ مستحيل ! لا يوجد من هذا الجهاز سوى نسخة واحدة ، فى القوات الجوية الأمريكية ، ومن غير الممكن أن ...

استدارت إليه بحركة حادة عنيفة ، وارتفعت يدها نحوه بمسدس صغير ..

وأطلقت النار ..

واندفع جسد العالم الشاب إلى الخلف فى عنف ، مع الرصاصة التى اخترقت منتصف جبهته تمامًا ، واتسعت عيناه فى ألم وذعر وذهول ، قبل أن يهوى جثة هامدة ، فى حين ألقت هى مسدسها جانبًا ، وراحت تضغط أزرار جهاز التوجيه بعيد المدى ، قائلة فى عصبية :

ـ كان الأفضل لك أن تغرب عن وجهى .

وفى سرعة ، دسَّت الأسطوانة المدمجة فى المكان المخصَّص لها ، وراحت تضرب أزرار الكمبيوتر الملحق بالجهاز فى سرعة ..



استدارت إليه بحركة حادة عنيفة ، وارتفعت يدها نحوه بمسدس صغير ..

كانت تبدو وكأن كيانها كله قد تعلَّق بهذه الأزرار ..

وشاشة الرصد ..

ومؤشرات الإرسال ..

والتوجيه ..

ففى أعماق أعماقها ، لم يكن لديها من هدف ، سوى إكمال عملية (النيل) بنجاح ..

لينطلق الصاروخ ..

ويشق طريقه نحو الهدف ..

وينسفه ..

ولم يكن باستطاعتها قط أن تتخيَّل العكس ..

ولو لحظة واحدة ..

لن يمكنها أبدًا احتمال فشل المهمة ..

أو انتصار (أدهم صبرى) ..

المقت الذى تشعر به تجاهه ، كان يحفز كل طاقتها ، ويستنفر كل مشاعرها ..

إلى أقصى حد ..

ومع حركة أصابعها على الأزرار، راح طبق الإرسال الرقمى فوق سطح منزلها يتحرك نحو الهدف ..

ثم استقرّ فى الاتجاه المناسب ..

ومع ضغطة زر أخيرة ، بدأ عملية بث شفرة التوجيه الجديدة ..

وفى القاعدة السرية ، وعلى الرغم من بعد المسافة ، استقبلت أجهزة الإطلاق تلك الشفرة الجديدة ..

وطبقًا للبرنامج المعدّل ، الذى استبدلت به برنامج التوجيه الأصلى ، فى القاعدة السرية ، أوقفت كل الأجهزة هناك عملية العد التنازلى ، عند استقبالها للشفرة الجديدة ..

وقفزت بغتة إلى مرحلة الإطلاق ..

وفى ظفر وحشى ، تراجعت (كلارا) ، وهى تهتف :

- الآن لم يعد بمقدور أى مخلوق أن يوقف العملية .

وتألّقت عيناها فى شراسة ، مضيفة :

- حتى (أدهم صبرى) نفسه .

قالتها وأطلقت ضحكة عالية طويلة ..

ضحكة شيطانية ، أدركت أنها تمتلك الآن السيطرة ، على أقوى مشروع تدميرى ، فى القرن العشرين ..

السيطرة التامة .

* * *



٨ - بلا رحمة ..

أطلقت (نادية) الصاروخ الحارق الثالث ، ثم حملت مدفعها الآلى ، وانطلقت تعدو وسط الأدغال الكثيفة ..

كانت تعلم أن الإسرائيليين سيسعون حتمًا لتحديد موقع الإطلاق ..

وأنهم سيتقدمون نحوها بتشكيل ثلاثى ..

لذا ، فقد انطلقت تعدو مبتعدة بقدر إمكانها ، قبل أن يلحقوا بها ..

وعلى الرغم من دقة موقفها وتوترها ، قفز ذهنها إلى (أدهم) ..

ترى ما الذى يفعله الآن ؟!

هل سارت خطته كما ينبغى ؟!

هل نجح فى بلوغ القاعدة السرية بالهليكوبتر ؟!

بل هل نجح أساسًا فى الاستيلاء على الهليكوبتر ؟!

كم تشعر بالقلق من أجله ..

لقد أعد خطة عبقرية بسيطة كعادته ..

ولكنها تعتمد على مهارته فى المقام الأول ..

هو وحده سيواجه الخطر ..

كل الخطر ..

فلو سارت خطته على ما يرام ، سيجد نفسه وحيدًا ، فى قلب القاعدة السرية ..

فى قلب وكر المؤامرة الإسرائيلى ..

وسيكون عليه أن يقاتل كالأسود ..

فى سبيل نجاح المهمة ..

وفى سبيل حياته ..

خفق قلبها فى عنف ، عندما تصورت أنه من الممكن أن تفقده ..

بل والأكثر خطورة أن الاحتمال الأكبر هو أن تفقده ..

ومن العجيب أن هذا لم يقلقه على الإطلاق ..

ولم يشغل باله لحظة واحدة ..

إلى هذا الحد بلغ حبه لوطنه ..

إلى هذا الحد تفانى فى خدمته ..

كل ما اهتم به هو أن تنجح مهمته ..

وأن يوقف المؤامرة ..

وينقذ القمر الصناعى المصرى ..

ينقذ مدخل (مصر) إلى التقدّم ..

إلى الحضارة ..

إلى المستقبل ..

إلى هذا الحد هانت حياته ، أمام الهدف الأسمى ..

(مصر) ..

كانت تعدو فى دائرة واسعة ، تلك الأفكار تتدفّق فى رأسها كالسيل ، عندما برز أمامها فجأة هؤلاء الرجال الثلاثة ..

رجال ضخام الأجساد ، لهم وجوه قاسية غليظة ، ونظرات وحشية شرسة ، وكل منهم يحمل مدفعًا آليًا قويًا ..

لقد كان (ديلشمسكى) أذكى وأبرع مما تصوّرت ..

لقد لجأ إلى استراتيجية جديدة ، وقام بتوزيع رجاله على نحو مختلف ..

ولكن لا وقت لمناقشة هذا الآن ..

فما إن التقت بالرجال الثلاثة ، حتى رفعوا فوهات مدافعهم الآلية نحوها بلا تردُّد ..

وبلا رحمة ..

وبسرعة البرق ، رفعت هى أيضًا فوهة مدفعها الآلى ..

وفى قلب أدغال (فنزويلا) ، دوت الرصاصات ..

وتفجرّت أنهار الدم ..

بكل غزارة ..

* * *

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو ينطلق بالهليكوبتر الإسرائيلية ، التى استولى عليها ، نحو القاعدة السرية مباشرة ..

لقد كانت وثبة مدهشة ، تلك التى نقلته من قمة الشجرة العالية ، إلى الهليكوبتر ، التى أصيب قائدها بالذعر والهلع ، عندما فوجئ به ينقضّ عليه ، من وسط الأشجار الكثيفة ..

وقبل أن يستوعب الموقف ، أو ينتزع مسدسه من حزامه ، كان (أدهم) قد وثب داخل الهليكوبتر ..

وما يتبقى هو وصف تقليدى ، قد يملّ القارئ تكراره ..

أما الآن ، فها هو ذا (أدهم) يتجه إلى الهدف مباشرة ، وعقارب الساعة تشير إلى الخامسة وعشر دقائق ..

و (ديلشمسكى) يطلق صاروخه الدفاعى نحوه ..

وفى نفس اللحظة ، التى تجاوز فيها (أدهم) تلك الأسوار المكهربة ، انطلق نحوه الصاروخ ، و (ديلشمسكى) يصرخ :

- لن تنجح هذه المرة أيها العربى .. لن تنجح أبدًا ..

وبسرعة مذهلة ، لا يمتلكها سوى رجل مثله ، حلّ (أدهم) حزام مقعد قيادة الهليكوبتر ، واختطف مدفعه الآلى ..

ووثب ..

وثب من ارتفاع عشرة أمتار ، نحو أرضية القاعدة السرية ..

وفوقه ، أصاب الصاروخ الدفاعى هدفه ..

ودوى الانفجار ..

انفجار قوى عنيف ، نسف الهليكوبتر ، وأطلق موجة من التضاغط والشظايا واللهب ، دفعت (أدهم) أمامها لخمسة أمتار كاملة ، قبل أن يرتطم بالأرض فى عنف ، والدماء تنزف من جراحه السابقة ، ومواضع إصاباته الحالية ..

ولكن الوقت لم يكن يسمح بالتوقف ..

أو الألم ..

لذا ، فما إن ارتطم (أدهم) بالأرض ، وعلى الرغم من كل إصاباته وآلامه ، فقد قفز واقفا على قدميه ، وانطلق يعدو نحو حجرة القيادة ..

كان من السهل عليه تحديدها ، مع موقعها المتميز الواضح ، وطبق الإرسال والاستقبال الرقمى فوقها ، ومظلات الأغصان الصناعية ، المخصصة لإخفائها عن الأنظار ، من أية زاوية جوية ..

ولكن من العسير جدًا أن يبلغها ..

فما إن سقطت الهليكوبتر ، حتى صرخ (ديلشمسكى) فى طاقم الحراسة الداخلى للقاعدة ، بكل توتره وانفعاله :

- امنعوا أى مخلوق من الاقتراب ، مهما كان الثمن .. هل تفهمون ؟! مهما كان الثمن .

وإثر صرخته انطلق عشرة رجال يتصدون لـ (أدهم) ..

وكان على بطلنا أن يطرح جانبًا كل كراهيته وبغضه للقتل والتدمير ..

وأن يقاتل بلا هوادة ..

وبلا رحمة ..

وفى غزارة لم يسبق لها مثيل ، انطلقت رصاصات مدفعه الآلى تحصد كل من يعترض طريقه من الإسرائيليين ، الذين أطلقوا رصاصاتهم بدورهم ، فى محاولة لحصده أيضًا ..

وحتى (أدهم) نفسه لم يمكنه وصف ما حدث . فى تلك اللحظات ..

لقد انطلقت الرصاصات فى كل صوب ..

وكل اتجاه ..

وتفجرت دماء جديدة من جسده ..

ومن أجسادهم ..

كل ما يذكره ، هو أن رصاصات مدفعه قد نفدت كلها ، قبل أن يسقط الإسرائيليون العشرة ..

وأنه قد انقضّ بصدر عار ، ولطم أحد الرجال بكعب مدفعه فى وجهه ، ثم غرس خنجره فى صدر الثانى ، ووثب يركل الثالث ، فى أنفه مباشرة ..

وعندما تجاوز تلك العقبة ، كان جسده مثخنًا بالجراح ، على نحو لم يشعر به من قبل قط ..

وعندئذ ، برز (بارون ديلشمسكى) ..

لقد قفز خارج حجرة القيادة ، وهو يحمل مدفعه الآلى ، و .....

وأطلق النار ..

وبحركة تلقائية غريزية ، وثب (أدهم) جانبًا ، متفاديًا رصاصات (ديلشمسكى) ، ثم انتزع خنجرًا من غمد خفى فى حذائه ، وألقاه نحو هذا الأخير ..

وبدقة مدهشة ، أصاب الخنجر مدفع الإسرائيلى ، وأطاح به جانبًا ، فصرخ بكل غضب الدنيا :

ـ لن تنجح هذه المرة يا (أدهم) .

وفى لحظة واحدة تقريبًا ، انقضّ كل منهما على الآخر ..

واشتبكا فى عنف ..

وبكل قوته ، راح (ديلشمسكى) يلكم (أدهم) ، فى كل موضع تنزف منه الدماء ، وهو يصرخ :

ـ لن تنجح .

كانت ضرباته تمزّق خيوط الجراحات ، وتفجّر جروحه كلها ، مع سيل من الدماء ، وآلام مبرحة لا تطاق ..

ولكن كل هذا لم يوقف (أدهم) ..

لقد استقبل واحدة من أقوى لكمات (ديلشمسكى) على ساعده ، وهو يقول فى صرامة :

- من الصعب أن تجزم يا هذا .

ثم كال لكمة كالقنبلة لهذا الأخير ، مضيفًا :

- فالوقت لم يمض بعد .

كانت اللكمة من القوة ، حتى إنها أسقطت الإسرائيلى على بعد مترين كاملين ، ولكنه لم يكد يسقط ، حتى هبَّ واقفًا على قدميه بسرعة مدهشة ، وانقضَّ مرة أخرى على (أدهم) ..

وفى هذه المرة تشبث به فى قوة ، صائحًا :

- الوقت لصالحنا ، وليس لصالحك .

أمسك (أدهم) معصمه ، قائلاً فى صرامة :

- الوقت لصالح من يربحه .

ثم لكمه فى معدته ، مضيفًا :

- ومن يحسن استغلاله .

وعلى الرغم من عنف الضربات ، ظلَّ (ديلشمسكى) متشبثًا به فى قوة ، وكأنما لم يعد له

من هدف فى الحياة ، سوى منعه من إفساد عملية (النيل) ..

ومع تشبثه به ، سقط الاثنان أرضًا فى عنف ، وصرخ الإسرائيلى بكل غضب الدنيا :

- لن تفعلها هذه المرة .. لن تضيف اسمى قط لقائمة انتصاراتك .

لكمه (أدهم) فى معدته مرة أخرى ، وهما يتدحرجان أرضًا ، هاتفًا :

- لم تعد قضية قوائم أيها الوغد .

وحاول أن يدفعه بعيدًا عنه ، مستطردًا :

- إنها قضية مستقبل ، و ....

اختنقت الكلمات فى حلقه بغتة ، عندما أضىء مصباح أحمر كبير ، على قمة حجرة القيادة ، معلنًا الاستعداد لإطلاق الصاروخ (سكاى آى) (م و - ٢٢)، قبل موعده بنصف ساعة كاملة ..

ومع المصباح الأحمر ، ارتفع جزء من أرضية القاعدة فى بطء ليكشف الصاروخ وقاعدته ..

وتوقُّف القتال بين (أدهم) و(ديلشمسكى) بغتة ، وهذا الأخيرة يهتف :

- (كلارا) .

ومع آخر حروف الاسم ، هوى (أدهم) على فكه بلكمة كالقنبلة ، دون أن ينبس بحرف واحد ..

ودارت عينا (ديلشمسكي) في محجريهما ، مع عنف اللكمة ، فأعقبها (أدهم) بثانية ، وثالثة ..

وأنهار رأس (ديلشمسكي) هذه المرة ..

ونهض (أدهم) في سرعة ، وانطلق يعدو نحو حجرة القيادة ، وعيناه تتابعان ذلك الجزء من الأرض ، الذي يواصل ارتفاعه ، لكشف قاعدة إطلاق الصاروخ ، الذي ارتفع من الأرض إلى أعلى ، والعد التنازلي ينتقل بسرعة إلى المرحلة الأخيرة ..

وفي توتر بالغ ، هتف (أدهم) :

ـ قبل موعده بنصف ساعة كاملة ؟! يا لها من مفاجأة !

اقتحم حجرة القيادة في عنف ، وتحفزت كل خلية فيه للقتال ، إلا أن الحجرة بدت خالية هادئة ، فاندفع نحو أجهزة التوجيه ، وراح يضغط أزرارها في سرعة ودقة ، طبقًا لما قرره العلماء المصريون ، لمنع إطلاق الصاروخ ، في مرحلته الأخيرة ..

ولكن الأزرار لم تستجب ..

لم تستجب أبدًا ..

كان من الواضح أن كل ما يحيط به من أجهزة لم يعد له أية سيطرة على نظام التوجيه ..

وأن شيئًا آخر يحكمه ..

من خارج القاعدة ..

وقفز (أدهم) يلتقط مدفعًا آليًا ، من خزانة أسلحة الطوارئ ، داخل حجرة القيادة ، واستدار إلى الآلات ، هاتفًا :

ـ هناك وسيلة ما حتمًا .

وأطلق رصاصاته ..

وفي عنف ، راحت أجهزة التوجيه تتحطم ، وتتناثر شظاياها في المكان ..

ولكن العد التنازلي النهائي ظلّ يتواصل ..

وانعقد حاجبا (أدهم) في شدة ، وهو يغمغم :

ـ مستحيل ! لا يمكن أن يربحوا ، بعد أن بلغنا هذا الحد .. هناك وسيلة حتمًا لإيقاف ذلك الشيء ، أو ..

قفزت تداعيات عديدة إلى ذهنه بغتة ، وراحت تترابط ببعضها ، فتألقت عيناه ، وهو يرفعهما إلى سقف الحجرة ، هاتفًا :

ـ آه .. طبق الاستقبال ..

لم يكد ينطقها ، حتى تردَّد دوى رصاصات داخل الحجرة ..

وشعر (أدهم) بعمودين من النار يخترقان صدره وبطنه ، ويقتلعانه من مكانه ، ليلقيا به مترين إلى الخلف ، قبل أن يرتطم ببعض الأجهزة فى عنف ، ويسقط على وجهه أرضًا ..

وفى هذه المرة كانت الآلام رهيبة ..

رهيبة للغاية ..

وعند مدخل الحجرة ، وقف (دوناهيو) زائغ البصر ، محتقن الوجه ، يمسك مدفعه الآلى فى عصبيةَ ، والدخان يتصاعد من فوهته ، وهو يهتف :

ـ أخيرًا خسرت أيها الأسطورة المصرية .

كان (أدهم) يقاوم غيبوبةَ عنيدةَ ، هاجمت رأسه فى عنف ، وهو يحاول النهوض وإكمال مهمته ..

ولكن هيهات ..

فالجسد البشرى، أى جسد بشرى ، له إمكانياته .. وحدوده ..

حتى ولو كان جسد (أدهم صبرى) ..

رجل المستحيل !

وفى عصبيةَ عجيبة ، هتف (دوناهيو) :

ـ لم أكن اتصوَّر اننى سأفعلها .. أنا حطمت الأسطورة .. أنا قتلت (أدهم صبرى) .. أنا فعلتها ..

شعر (أدهم) بطعم الدم فى حلقه ، وعلى شفتيه ، وأدرك أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة ، على قيد أمتار قليلة من ذلك الصاروخ ، الذى سينطلق بعد دقائق محدودة ، لينسف القمر الصناعى المصرى ، وهو عاجز عن منعه ..

وبكل ما تبقى فى جسده من قوة ..

وحزم ..

وعزم ..

وإرادة ..

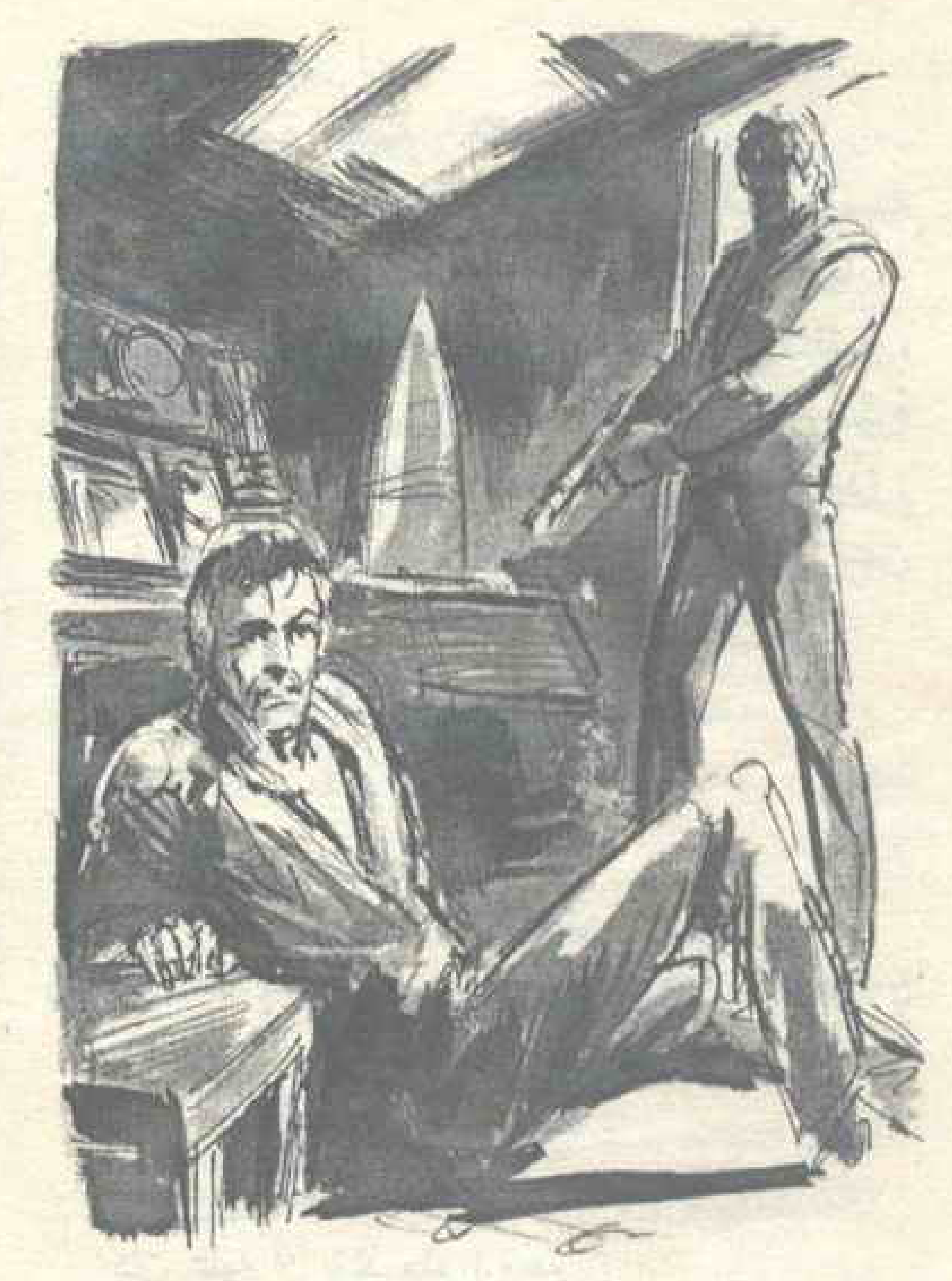
بكل هذا تشبَّث بمقعد قريب ، وحاول أن يرفع جسده عن الأرض ..

كانت هناك مهمةَ لم تكتمل بعد ..

مهمةَ أكثر أهميةَ من حياته نفسها ..

كان عليه أن ينقذ حلم (مصر) ..

وطموحها ..



حزم .. وعزم .. وإرادة .. بكل هذا تشبث بمقعد قريب ، وحاول أن يرفع جسده عن الأرض ..

ومستقبلها ..

مهما كان الثمن ..

وفى غضب ، انعقد حاجبا (دوناهيو) ، وهو يقول :

ـ لماذا تقاوم أيها المصرى ؟! لماذا ترفض الموت بسهولة ؟!

وصوَّب إليه مدفعه الآلى مرة أخرى ، قائلاً فى حدة :

ـ فليكن .. أنت تستحق خزانة رصاصات كاملة .

ودوت الرصاصات مرة أخرى فى عنف ..

* * *

« الحرب بدأت بالفعل .. »

ألقى مساعد مدير المخابرات العامة المصرية العبارة فى توتر ، وهو يلوِّح بآخر برقية ، وصلت من (كومانا) ، فهتف المدير فى انفعال :

ـ حقًا ؟!

ناوله المساعد البرقية ، وهو يقول :

ـ مراقبونا أكدوا أن القتال قد نشب منذ قليل ، فى قلب أدغال (فنزويلا) ، ولقد رصدوا الموقع ، وتم تحديده بمنتهى الدقة ..

سأله المدير :

ـ وماذا عن (ن ـ ١) ؟!

هزَّ المساعد رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ لا أخبار جديدة فى الوقت الحالى ، فمن المؤكد أن سيادة العميد (أدهم) سيتفادى أية اتصالات لا سلكية ، مباشرة أو غير مباشرة ، قبل أن يبدأ هجومه ، حتى لا يكشف موقعه .

تنهَّد المدير ، قائلاً :

ـ بالضبط .

نطقها ، وراح يراجع البرقية الواردة بمنتهى الاهتمام ، قبل أن يسأل :

ـ هل أجريتم اتصالاً مباشرًا بالسلطات الفنزويلية؟!

أشار مساعده بيده ، وهو يجيب :

ـ وزارة الخارجية تجرى اتصالاتها فى هذا الشأن.

سأله المدير فى قلق :

ـ وما الذى تقوله المؤشرات الأوَّلية ؟!

لوَّح المساعد بذراعه ، مجيبًا :

ـ سيتعاونون .

تنهَّد المدير فى توتر ، فتابع مساعده :

ـ من الواضح أن السلطات هناك ليست لديها فكرة مباشرة ، عما يحدث على أرضها ، ولقد أفزعهم أن يتم استخدام غاباتهم لتنفيذ مؤامرة حقيرة كهذه . ومن المؤكد أنهم سيفعلون أى شىء ممكن ؛ لإثبات حسن نواياهم .

قال المدير :

ـ عظيم .

وألقى نظرة أخرى على التقرير ، قبل أن يسأل :

ـ هل الرجال مستعدون هناك ؟!

أجابه مساعد آخر :

ـ انهم ينتظرون الأوامر .

انعقدت حاجبا المدير ، وهو يلقى نظرة على الساعة المعلقة على الجدار ، والتى يشير عقرباها إلى التوقيت فى (كوماتا) ، ثم قال فى حزم :

ـ فيم انتظارهم إذن ؟!

سأله مساعده :

ـ هل يتحركون على الفور ؟!

أجابه المدير فى حزم :

ـ بالتأكيد .

ثم أضاف فى توتر :

ـ عسى أن يمكنهم إنقاذ شىء .. أى شىء .

وصمت لحظة ، قبل أن يكمل فى انفعال :

ـ أو أى شخص ..

* * *

راجع كبير الإخصائيين ، فى المستشفى الخاص ، الذى تملكه دونا (كارولينا) ، نتائج الفحوص الأخيرة لـ (جيهان) ، قبل أن يلتفت إلى هذه الأخيرة ، قائلاً :

ـ أعتقد أن النجاح وارد يا سيدتى .

صفقت (جيهان) فى لهفة :

ـ حقًا ؟!

ابتسم ، وهو يقول :

ـ الواقع أن العملية حديثة للغاية ، وتستخدم شريحة إليكترونية بالغة الدقة ، ولكن كل التجارب الأولية حققت نجاحًا مدهشًا ، كما أن حالة الخلايا والألياف العصبية عندك مطمئنة للغاية .

أغلقت عينيها ، مغمغمة بالعربية :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

لم يفهم الطبيب حرفًا مما نطقته ، ولكنه شعر بخشوعها ، فربتت عليها ، وهو يسألها بابتسامة كبيرة :

ـ أهناك ما يمكن فعله ، لجعل إقامتك بيننا أفضل ، حتى يتمَ إجراء العملية ؟!

ضحكت (جيهان) ، هاتفة :

ـ أفضل ؟! إننى ، ومنذ وصولى إلى هنا ، يعاملنى الجميع وكأننى أميرة أو ملكة متوجة .

ضحكت دونا (كارولينا) بدورها ، وهى تقول :

ـ المبلغ الذى دفعته مؤسسة (أميجو) ، يجعلهم ينتخبونك رئيسة للولايات المتحدة الأمريكية يا عزيزتى .

ابتسمت (جيهان) فى تأثر ، قائلة :

ـ أنت أيضًا كنت كريمة معى للغاية يا دونا .

هزت (كارولينا) كتفيها ، قائلة :

ـ كل هذا من أجل (أدهم) .

غمغمت (جيهان) :

ـ علىَّ أن أشكره مرتين إذن .

ثم التفتت إلى الطبيب ، تسأله :

ـ ومتى يمكن إجراء العملية فى رأيك ؟!

أجابها فى بساطة :

ـ كل ما نحتاج إليه جاهز يا سيدتى .. الشريحة الإليكترونية ، وخبراء جراحة الأعصاب ، وحجرات العمليات ، المجهزة بكل التكنولوجيا اللازمة ، ولا يتبقى أمامنا سوى أن نجعل حالتك الصحية مناسبة لإجراء الجراحة .

سألته فى اهتمام :

ـ وكم سيستغرق هذا فى رأيك ؟!

هز كتفيه بدوره ، مجيبًا :

ـ يومين على الأكثر .

ارتجفت شفتاها ، وهى تسأله :

ـ ومتى .. متى يمكننى السير ثانية ؟!

اتسعت ابتسامته ، وهو يجيب :

ـ فور التئام جرحك .

ثم لوّح بيده ، مضيفا :

ـ أسبوع على الأكثر .

اتسعت عيناها ، وارتجفت شفتاها أكثر ، فهتفت دونا (كارولينا) :

ـ هل سنقضى الليلة كلها فى هذا المشهد الدرامى ؟!

ضحك الطبيب ، قائلا :

ـ لا يمكننى هذا بالتأكيد ، فهناك مرضى آخرون فى انتظارى .

ولوّح بيده ، وهو يغادر المكان ، فالتفتت دونا (كارولينا) إلى (جيهان) ، تسألها :

ـ هل تشعرين بالارتياح هنا ؟!

ابتسمت (جيهان) ، قائلة :

ـ لست أدرى كيف يمكننى أن أشكرك .

قالت (كارولينا) فى بساطة :

ـ قلت لك : إن كل هذا من أجل (أدهم) .

ثم لوّحت بيدها ، مستطردة :

ـ إنه لم يكن ينوى إجراء الجراحة لك هنا ، ولكن مع تطوّر الأمور ، يبدولى هذا اختيارًا مثاليًا ، ففى مكان أمتلكه ، يمكننى حمايتك ، وإحكام سيطرتى على الأمور بشكل افضل .

غمغمت (جيهان) :

ـ بالتأكيد .

ثم ازدردت لعابها ، قبل أن تسأل فى تردُّد :
- هل من أخبار عن (أدهم) ؟!
انعقد حاجبا (كارولينا) ، وهى تتطلَّع إليها لحظة ، قبل أن تقول فى صرامة :
- لا تقلقى نفسك بشأنه .. إنه يستطيع العناية بنفسه دائمًا .
تنهَّدت (جيهان) ، وأشاحت بوجهها لتخفى انفعالاتها ، وهى تتمتم :
- كنت أتساءل : متى سيأتى إلى هنا ؟!
هزَّت (كارولينا) رأسها ، قائلة :
- لا أحد يعلم .
ثم ابتسمت ، مضيفة :
- دعيه يتأخر قليلاً ، حتى يمكنك استقباله على قدميك .
كبحت (جيهان) دموعها ، وهى تغمغم :
- نعم .. سيكون هذا أفضل بالتأكيد .
نطقتها ، وابتلعت غصة مريرة فى حلقها ..
فعلى الرغم من أنها لم تكن تعلم شيئًا ، عما يواجهه (أدهم) ، فى تلك اللحظة ، إلا أن شيئًا ما فى أعماقها كان ينبئها بأنها لن تراه مرة أخرى ..

فى هذا العالم ..

* * *

ضغطة زناد واحدة ، ويحتل اسم الإسرائيلى (دوناهيو) مكانة متميِّزة خاصة ، فى التاريخ ..
تاريخ المخابرات ..
ضغطة زناد واحدة كانت تكفى ؛ ليقتل (أدهم صبرى) ، ويحمل إلى الأبد لقب الشخص الذى قتل (رجل المستحيل) ..
فعلى مسافة ثلاثة أمتار منه فحسب ، كان (أدهم صبرى) مصابًا بدسته من الجروح والشظايا والرصاصات ، ويجاهد ليقف ..
فقط ليقف ..
وبمنتهى الحزم والشراسة ، صوَّب (دوناهيو) فوهة مسدسه إلى رأس (أدهم) ، وهو يحلم بهذا الانتصار الساحق ..
ودوت الرصاصات ..
ومع دويها ، جحظت عينا (دوناهيو) ألمًا وذعرًا ، وانثنى ظهره على نحو عجيب ، وقفزت الدماء من بين شفتيه ..

ثم هوى جثة هامدة ..

وفى نفس اللحظة ، ارتفع صوت طيار الهليكوبتر المصرى ، عبر جهاز الاتصال الصغير ، فى جيب (أدهم) ، وهو يهتف :

- سيد (أدهم) .. أين أنت ؟! لقد حصدت دستة من هؤلاء الأوغاد حتى الآن .. أين أجدك .

ومع هتافه ، بدأ هدير الهليكوبتر فى وضوح ، فوق حجرة القيادة ، فالتقط (أدهم) جهاز الاتصال من جيبه فى صعوبة ، وهو يقول :

- أنا داخل الحجرة ، التى قتلت أحدهم عند بابها ، منذ لحظة واحدة .

هتف الطيار فى مرح :

- حقًا ؟! هل تعنى أننى قد أنقذت حياتك ؟!

قال (أدهم) ، وهو يقاوم تلك الغيبوبة بكل إرادته :

- دعك منى الآن .. المهم أن توقف ذلك الصاروخ ، قبل أن ينطلق لينسف قمرنا .

هتف الطيار :

- ألم توقفه بعد ؟!

لهث (أدهم) لحظات ، قبل أن يجيب :

- شخص ما يتحكم فيه من بعيد .

هتف الطيار فى انزعاج :

- رباه ! صوتك يوحى بأنك مصاب بشدة .. سأهبط لالتقاطك ، ثم ..

قاطعه (أدهم) :

- قلت لك : دعك منى .. انس أمرى تمامًا ، ونفذ ما آمرك به دون إبطاء .

مضت لحظة قصيرة من الصمت ، قبل أن يأتيه صوت الطيار ، عبر جهاز الاتصال الصغير ، وهو يقول فى حزم :

- أنا رهن إشارتك .

بذل (أدهم) جهدًا رهيبًا ، ليقول :

- هل ترى طبق الإرسال والاستقبال الرقمى ، على سطح المبنى ؟!

أجابه الطيار فى سرعة :

- أراه فى وضوح .

عضَّ (أدهم) شفتيه من فرط الألم ، قبل أن يقول :

- إشارات التحكم فى ذلك الصاروخ تصل عبره .. انسفه على الفور .

هتف الطيار :

ـ قبل أن تكمل كلمتك ..

ومع هتافه ، سمع (أدهم) دوى رصاصات ، أعقبه صوت تحطم الطبق ، ورآه يسقط أمامه ، فلهث مرة أخرى ، هاتفًا :

ـ هل توقف انبعاث الغازات والدخان ، من قاعدة الصاروخ ؟!

أجابه الطيَّار فى توتر شديد :

ـ كلاً .. إنه ما زال يتخذ وضع الإطلاق ، ومنصته تتحركَ لإحكام التوجيه والتصويب ، والنيران تتصاعد من قاعدته أكثر ..

عض (أدهم) شفتيه فى مرارة هذه المرة ..

لقد فشلت العملية ، بعد كل ما فعلوه ..

الصاروخ دخل المرحلة اللارجعية ، وأصبحت له السيطرة الكاملة على نفسه ..

لم يعد بحاجة إلى أجهزة إطلاق ..

أو توجيه ..

لقد نسخ برنامجه الأساسى ، وصار كارثة لا يمكن إيقافها ..

ويا للمرارة !!

كم هو مؤلم ذلك الشعور بالفشل ؟!

كم هو مهين ، أن يقف المرء عاجزًا ، على قيد أمتار قليلة من صاروخ ، يهمّ بنسف الوصلة الرئيسية ، بين وطنه وتكنولوجيا المستقبل ؟!

وبكل مرارته ، غمغم :

ـ لا فائدة .

هتف الطيَّار فى عصبية :

ـ ماذا تعنى بأنه لا فائدة ؟! أليس باستطاعتنا إيقاف هذا الشىء .

قال (أدهم) ، بكل مرارة الدنيا :

ـ لم تعد هناك وسيلة لهذا .

هتف الطيار :

ـ وماذا لو أطلقت عليه النار ؟!

أسبل (أدهم) جفنيه ، وهو يقول :

ـ ربما أمكنك أن تخدش جسمه ، ولكنك لن توقفه.

هتف الطيَّار فى غضب :

ـ مستحيل ! لا بد من وجود وسيلة ما .. لا يمكن أن نسمح أبدًا بأن ينسف هؤلاء الأوغاد حلمنا ومستقبلنا .. لا يمكن .

كان (أدهم) يشعر بأضعاف ما يشعر به الطيَّار من أسى ومرارة ..

ولكنه لم يعد يملك ما يفعله ..

بل لم يعد يملك حتى البقاء على قيد الحياة ، ليتابع ما سيحدث ..

لقد فشل فى مهمته هذه المرة ..

بذل كل ما يمكنه بذله ..

ولكنه فشل ..

وهكذا الأيام ..

يوم لك ..

ويوم عليك ..

ويأله من يوم !

ويالها من مرارة !

وبينما راحت تلك الغيبوبة تسيطر على عقله ، سمع (أدهم) الطيَّار يهتف فى مرارة :

ـ هناك وسيلة ما حتمًا .

ثم ابتعد هدير الهليكوبتر ، على نحو يوحى بأن الطيَّار يبتعد ..

ويبتعد ..

ودوت فى القاعدة فرقعة قوية ، والصاروخ (سكاى آى) (م و ـ ٢٢) يطلق طاقته الأخيرة ..

ثم ينطلق ..

وأغلق (أدهم) عينيه فى قوة ..

وتمنى لو لم يشهد هذه اللحظة قط ..

وانطلق (سكاى آى) ، مستهدفًا القمر الصناعى المصرى ..

وانطلق ..

ولكن فجأة ، ظهرت الهليكوبتر ، وهى تعترض طريق الصاروخ ، وقائدها المصرى يصرخ :

ـ هناك وسيلة ..

وارتطم الصاروخ بالهليكوبتر ..

وأشعل الارتطام تلك الحمولة المتفجِّرة فى قمته ..

ودوى الانفجار ..

انفجار قوى ..

عنيف ..

رهيب ..

انفجار تردَّد صداه ، حتى بلغ (كومانا) نفسها ..

وفى الوقت الذى خرج فيه سكان المدينة الفنزويلية

إلى الشوارع ، لاستطلاع ما حدث ، كانت شظايا الهليكوبتر ، والصاروخ (سكاى آى) (م و ـ ٢٢) ، تتناثر على مساحة واسعة للغاية ..

وكانت حيوانات الأدغال تعدو صارخة مذعورة ، وهى تتساءل عن ذلك الحدث المروع ، الذى أصاب عالمها بغتة ..

ثم راحت الأمور تهدأ فى سرعة ، ليخيِّم الصمت على أدغال (فنزويلا) كلها ، وكأنما حبست كل مخلوقاتها أنفاسها ، خوفًا من استمرار الحدث أو تكراره ..

وكان صمتًا يحمل آلاف المعانى ..

صمتًا يؤكِّد أن مؤامرة (النيل) الإسرائيلية قد فشلت ..

وأن القمر الصناعى المصرى (نايل سات) سيواصل رحلته بسلام ..

إلى المستقبل ..

وصمتًا يحمل ، فى الوقت ذاته ، عشرات التساؤلات القلقة ، عن مصير الجميع ، بعد هذه النهاية العنيفة ..

ولكن كل التساؤلات ذابت وتلاشت ، وسط ذلك الصمت التام المهيب ، الذى سيطر على كل شىء ، بلا جواب ..

بلا وضوح ..

وبلا رحمة .

* * *

[تمت بحمد الله]

ساعة الصفر

• كيف يمكن أن تواصل (نادية) عملية (النيل)، بعد أنباء مصرع (أدهم صبرى) ؟!

• من تلك السيدة، التى تتحكم عمليا فى خطة نسف القمر الصناعى المصرى (نايل سات) ؟!

• ترى هل يواصل القمر المصرى رحلته إلى القرن القادم، أم يوقفه الإسرائيليون فى (ساعة الصفر) ؟!

• اقرا التفاصيل المثيرة، وعش بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل).



العدد القادم : نقطة الضعف

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

126

الثمن فى مصر ٢٠٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

